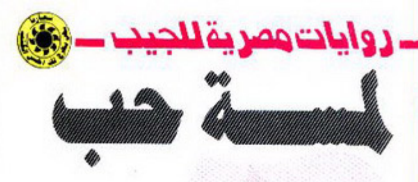




شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

هذه السلسلة ..

عندما تتحوَّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحبِّ .. الحبِّ الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب.. وفى لحظات الكراهية.. وفى لحظات الجفاف.. فتشيع عبيرها الفوَّاح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرِّك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ ـ فتاة حائرة ..

تطلعت (يسرا) من نافذة القطار إلى الحقول الخضراء الممتدة أمامها بعينين شاردتين .

بدت وكأنها تحلق بأفكارها بعيدًا عن تلك الطبيعة الساحرة التى يزخر بها الريف المصرى .

لقد كانت دائمًا ومنذ طفولتها مفتونة بمثل هذه المشاهد التى تراها عيناها الآن دون أن تحس بها .. فهى عاشقة لكل ما هو نبت أخضر للأشجار المورقة والحشائش الخضراء .. للأغصان والزهور .. للحدائق والحقول .. كانت دائمًا عاشقة للطبيعة .

كانت أسعد أوقاتها دائمًا تلك التى تقضيها داخل تكعيبة العنب فى منزل الأسرة بالقناطر الخيرية .. وتلك الحديقة الصغيرة المحيطة بالمنزل ، والتى تتفنن والدتها فى زرعها بأنواع مختلفة من الزهور .

وربما لهذا السبب فضلت كلية الزراعة على ما عداها للالتحاق بها بعد نجاحها فى الثانوية العامة ، برغم أن مجموعها كان يؤهلها لكليات أخرى تتمناها غيرها من

الفتيات ، لكنها أحبت هذه الكلية من خلال حبها للطبيعة والنبت الأخضر ، ولم يكن ليشغلها شيء عن الاستمتاع برؤية تلك الحقول الخضراء ، سوى أفكارها الحائرة .. ومشاعرها القلقة بسبب حبها لـ (صلاح) .

لقد قطع اتصاله بها منذ شهر ونصف تقريبًا .. لا اتصال .. لالقاء .. لارسائل ، ولا حتى رد على أى من رسائلها إليه .. وهو الذى لم يكن يقوى على أن يمر أسبوع واحد دون أن يراها ويلتقى بها .

وهى من جانبها حاولت الاتصال به عدة مرات .. لكن والده كان يرد عليها دائمًا ويخبرها بفظاظة أنه غير موجود .

لقد تعرفت (صلاح) وهى فى السنة الثانية بالكلية ، ونشأت بينهما مع الوقت قصة حب قوية .. عرفها جميع الطلاب .

كان (صلاح) هو البادئ فى التعبير عن مشاعره تجاهها ، ووجدت نفسها تدريجيًا تتجاوب مع هذه المشاعر ، خاصة مع طول الفترة التى عرفته فيها وإعجابها المتزايد به .

وبدا أن هذا الحب يزداد قوة ورسوخًا مع مرور الوقت وظلت أسهمه فى تصاعد يومًا بعد آخر .

كان (صلاح) فى هذه الفترة يحبها على نحو غير عادى .. وبدا وكأنه يتمنى لو يعيش كل لحظة بقربها .. وأنه مستعد لأن يفعل المستحيل من أجلها .

أما هى .. فكانت أكثر رزانة فى مشاعرها .. لقد أحبته بالفعل .. لكنها لم تكن غارقة فى الرومانسية مثله .. ومع ذلك ؛ فإن حبها له كان قويًا وراسخًا فى نفسها .

وكأية فتاة أخرى أحبت .. كانت تحلم باليوم الذى تتزوج فيه من الرجل الذى أحبته .

وظل هذا الحلم ينمو مع الأيام والسنين .. لم يكن هو الآخر أقل منها تشوقًا لهذا اليوم أو هكذا خيل لها .

كان يتلهف على ذلك اليوم الذى يجمعهما سويًا تحت سقف بيت واحد ، ولم تكن هناك عقبات قوية عدا الانتهاء من دراستهما .. وحصول كل منهما على وظيفة مناسبة .. ليبدءا معًا فى تحقيق حلمهما .

وانتهت الدراسة .. وعينت (يسرا) فى مركز البحوث الزراعية بوزارة الزراعة ، بينما عاد (صلاح) إلى بلدته لبضعة شهور تولى خلالها الإشراف على زراعة الأفدنة التى يمتلكها والده .. فى انتظار تعيينه فى إحدى الوظائف .. ، وفى تلك الفترة توفى والدها .. وجاء (صلاح) ، ليقف بجوارها ويؤازرها ، فى محنتها .

ولم يكن من المقبول بالطبع التحدث خلال هذه الفترة عن أمور الزواج ، وفى خلال فترة الحداد استلم (صلاح) وظيفة مماثلة لوظيفتها فى وزارة الزراعة .

لكنه سرعان مازهد الوظيفة ، وأخذ يبحث عن فرصة للعمل بالخارج ، متعللًا بأن هذه الوظيفة لن تحقق له شيئًا .. ولاتتناسب مع أحلامه .. وعندما أعيته الحيلة فى سبيل الحصول على تلك الفرصة ، تقدم بإجازة بدون مرتب، وعاد إلى بلدته مفضلًا تولى مسئولية زراعة الأفدنة التى يمتلكها أبوه ؛ حتى يتمكن من السفر إلى الخارج.

ووعدها بأنه عندما تنتهى فترة الحداد سيحضر والده ويطلب يدها من والدتها .

لكن فترة الحداد انقضت دون أن يخطو فى سبيل ذلك خطوة واحدة .. وبدأت الاتصالات التليفونية والرسائل واللقاءات تقل بينهما تدريجيًا خاصة من جانبه إلى أن توقفت نهائيًا .

وأثار هذا مشاعر القلق فى نفس (يسرا) .. لم تكن تدرى سر توقفه عن الاتصال بها على هذا النحو .

أيكون مريضًا ؟ أم أن هناك سببًا آخر ؟

لقد كانت رسائله الأخيرة فاترة وقصيرة .. وكان جوابه الدائم عن تساؤلاتها محيرًا .

فهو لا يريد أن يأتى إلى القاهرة لحاجة أبيه الشديدة إليه فى تولى مسئولية الأرض .. برغم أن هذه الحاجة لم تظهر من قبل .

وهو لم يستطع التقدم إليها حتى الآن لطلب يدها ؛ لأنه بحاجة إلى تأمين مستقبله أولًا .. والذى لم يتحدد بعد .. وبضع تعليلات ومبررات أخرى، ظل يرددها فى خطاباته ، وردوده على اتصالاتها التليفونية .

وكان عليها أن تضع حدًا لشكوكها وحيرتها .

أرادت أن تحصل على إجابات لكل تلك التساؤلات المحيرة التى تدور بداخلها .

لم يكن أمامها سوى أن تسافر إليه بنفسها .. وأن تحصل منه على رد واضح وصريح .. بشأن حبهما ومستقبلهما معًا .

وبرغم أن كرامتها وكبرياءها لم يقبل هذا الحل .. إلا أنها لم تجد سبيلًا آخر يريح أفكارها الحائرة ومشاعرها .. سوى أن تذهب إليه وتحصل منه على إجابة حاسمة بشأنهما .

كان عليها أن تنحى كبرياءها الأنثوى جانبًا ، لتحدد مصيرها مع (صلاح) .

لذا صممت على السفر إليه .

ولذا هى جالسة الآن فى القطار المتجه إلى بلدته وهى تحمل معها كل تساؤلاتها وحيرتها .

ومن أجل هذا لم تكن قادرة على التجاوب مع جمال الطبيعة كما كان حالها دائمًا .

فها هو القطار يقترب من بلدة (صلاح) ينبئ بالمواجهة التى سيتعين عليها أن تواجهها .. المواجهة بينها وبين الحقيقة التى تشغلها منذ شهر مضى .

أما زال (صلاح) يحبها كما تحبه ؟.. أم أن حبه لها فتر مع الوقت ؟ وهل مازال يرغب فيها كزوجة له ؟.. أم انطفأت رغبته هذه ؟ أما زالا يحلمان نفس الحلم الذى حلماه معًا منذ سنوات مضت ؟ أم أنها هى وحدها التى تحيا هذا الحلم ؟

إنها تحس الآن برهبة شديدة ، وهى تقترب من هذه المواجهة التى يتعين عليها أن تواجهها .

فقد عاشت سنوات طويلة فى انتظار أن يتحقق هذا الحلم .. وهى تدرك جيدًا أن (صلاح) يحبها .

نعم .. بل هى تعرف أن هذا الحب كان يعنى كل شىء بالنسبة له .. فقد كان مُدَلهًا فى حبها .

فهل يمكن أن تذهب الأيام بحب كهذا ؟

إنها لا تستطيع أن تتخيل ذلك .. ومع ذلك فهى خائفة .

خائفة من أن يكون هذا قد حدث .. وأن تجد (صلاح) لم يعد راغبًا فيها .

لقد بدأت تعاستها مع الحياة .. عندما رحل أبوها عن الدنيا ، وقد كانت تحمل له الكثير من الحب .

لكنها وجدت فى (صلاح) التعويض الذى يمكن أن يخفف عنها صدمة فقدها لأبيها .. لذا فلن تتحمل أن تفقده هو الآخر .. ولا تستطيع أن تتقبل فكرة تخليه عنها .

وتوقف صراع الأفكار فى عقلها مع توقف القطار فى محطته .. فأفاقت من شرودها .. وهى تنظر إلى اللوحة المعلقة فى المحطة . والتى تشير إلى اسم البلدة .

سارعت (يسرا) بتناول حقيبتها .. وغادرت القطار قبل أن يستأنف رحلته .

ووقفت على الرصيف وهى تائهة ، لا تدرى إلى أين تذهب .

لكنها لم تلبث أن سارت فى ركب المسافرين ، وهم

يتجهون إلى الباب الخارجى للمحطة لتجد نفسها فى الخارج .

اقترب منها أحدهم قائلًا :

ـ أية خدمة يا هانم ؟

سألته قائلة بارتباك :

ـ إننى أريد الذهاب إلى بلدة تدعى (بحطيط) .

قال لها الرجل :

ـ (بحطيط) ؟.. إنها تبعد نصف ساعة عن هنا .

ـ ألا يمكنك أن تدلنى على وسيلة للذهاب إليها ؟

وأشار الرجل إلى زميل له ينادى على ركاب سيارته (الميكروباص) قائلًا :

ـ خذها فى طريقك .. إنها ترغب فى الذهاب إلى (بحطيط) .

أشار لها الرجل بالركوب قائلًا :

ـ اجلسى فى المقعد الخلفى .

ووجدت نفسها تنحشر وسط مجموعة من الركاب، يتجاوز عددهم العدد المسموح به للسيارة بحوالى الضعف تقريبًا .. ومع ذلك فقد ظل السائق ينادى على ركاب آخرين .

وأخيرًا تحركت السيارة بهذا الحشد من الركاب ، وهى تنوء بحملها متخذة طريقها وسط أرض ترابية تخترق عددًا من الحقول ، وقد أخذت تتأرجح فى سيرها .

كانت الأتربة الكثيفة ، وذلك الحشد من الركاب الذين تتزاحم أنفاسهم داخل السيارة على نحو خانق ؛ يكاد أن يصيبها بالإغماء .

ومع ذلك فقد كانت أرجحة السيارة على هذا النحو الذى يحطم العظام ؛ أشد وطأة مما تعانيه وسط هذا الحشد .

لذا فقد تنفست الصعداء عندما عادت السيارة .. لتسير فوق أرض أسفلتية مرة أخرى .. وبدأ بعض الركاب يغادرونها تدريجيًا ..

توقفت السيارة عند مدخل البلدة حيث التفت إليها السائق قائلًا :

ـ إنك تريدين (بحطيط) .. أليس كذلك ؟

أجابته قائلة :

ـ بلى .

ـ انزلى هنا .. هذه هى البلدة .

غادرت (يسرا) السيارة .. وهى تحمل حقيبتها ؛ حيث وقفت تتلفت حولها فى حيرة وهى لا تعلم إلى أين تذهب ؟

وما لبثت أن رأت أحد المزارعين فنادت عليه قائلة :
ـ من فضلك أريد أن أذهب إلى منزل (صلاح إبراهيم) .
نظر إليها الرجل مليًا قائلًا :
ـ من أى عائلة ؟ يوجد هنا ثلاثة أشخاص باسم (صلاح إبراهيم) .
ـ إنه يعمل مهندسًا زراعيًا .
قال لها الرجل :
ـ آه .. تقصدين الباشمهندس (صلاح) من عائلة (السويفى) .. إن الحاج (إبراهيم السويفى) من كبار رجال البلدة .
ـ هل يمكنك أن تدلنى على منزله ؟
قال لها الرجل وهو يحمل عنها الحقيبة :
ـ بل سأصحبك إليه .. تفضلى معى يا هانم .
اجتازت (يسرا) طريقًا أسفلتيًا يمتد بين أرض زراعية .. لتتوقف فى النهاية أمام باب منزل كبير .. دفعه المزارع وهو يتقدمها داعيًا إياها للدخول .
وأخذ ينادى قائلًا :
ـ يا باشمهندس (صلاح) .. يا باشمهندس (صلاح) .

وظهر له أحد الأشخاص قائلًا ، وهو ينظر إليه من خلال الشرفة :
ـ ماذا تريد يا (فهمى) ؟
قال له المزارع الذى بدا أنه يعرفه :
ـ الهانم تريد مقابلة الباشمهندس .
نظر إليها الرجل شذرًا .. ثم قال : لحظة واحدة .
وبعد قليل ظهر (صلاح) يرتدى جلبابًا مثل سائر المزارعين فى القرية ، وقد بدا وكأنه استيقظ لتوه من النوم .. حيث أخذ يسوى شعره المتهدل فوق جبينه .
وما أن أطل من الشرفة إلى حيث تقف (يسرا) حتى ارتسمت على وجهه ملامح المفاجأة .
وقال بصوت مضطرب :
ـ (يسرا) !
تأملته (يسرا) مليًا قائلة :
ـ كيف حالك يا (صلاح) ؟
ظل (صلاح) جامدًا فى مكانه برهة من الوقت .. ثم سارع بهبوط درجات السلم القليلة التى تفصل ما بين الشرفة والفناء المحيط بالمنزل .. ليقترب منها قائلًا وصوته مازال ينم عن اضطرابه :

ـ أهلًا بك يا (يسرا) .
قالت له (يسرا) وفى صوتها رنة عتاب :
ـ إنما أسأل عنك أنا .. ما دمت لا تسأل أنت عنى .
نظر (صلاح) إلى المزارع الذى كان واقفًا يرقبهما فى فضول قائلًا :
ـ أشكرك يا (فهمى) تستطيع أن تذهب أنت الآن .
وانتظر (صلاح) حتى انصرف الرجل .. ثم التفت إلى (يسرا) قائلًا بارتباك :
ـ يا لها من مفاجأة .. أن تأتى إلى بلدتنا .
نظرت إليه وفى عينيها تساؤل قائلة :
ـ ترى .. أهى مفاجأة سعيدة أم سيئة ؟
قال لها وهو يزدرد لعابه وقد ازداد ارتباكه :
ـ إنها مفاجأة سعيدة بالطبع ..
ـ ولكننى أرى على وجهك غير ذلك .. (صلاح) .. لماذا لم تحاول الاتصال بى خلال الفترة الماضية ؟ ولماذا لم ترد على خطاباتى أو مكالماتى الهاتفية ؟!
ـ لقد كنت دائم السفر خلال الشهر الماضى .. كنا بحاجة لبعض المعدات الخاصة بالأرض .. واضطررت للسفر إلى الإسكندرية والإسماعيلية .. للاتفاق حول إحضار هذه المعدات .. والاتفاق مع بعض التجار الذين نتعامل معهم .

ـ ألم تجد بين سفرياتك المتعددة وقتًا للسفر إلى القاهرة أو الاتصال بى ؟
ـ لقد كنت مشغولًا .. مشغولًا للغاية يا (يسرا) .
ـ لم أكن أظن أن هناك ما يمكن أن يشغلك عنى إلى هذا الحد .
لقد كانت هذه هى كلمتك .. أتتذكر ذلك ؟.. لقد كنت تقول لى دومًا : إنه لا يوجد شىء فى هذا العالم يمكن أن يشغلك عنى .
ـ إن ظروف الحياة العملية تضطر المرء أحيانًا إلى ذلك .
قالت له (يسرا) بلهجة تهكمية :
ـ نعم .. هذا واضح .. فأنت لم تحاول حتى أن ترد على خطاباتى ، أو تفكر فى التحدث إلىّ ولو تليفونيًا .. كان الله فى عونك إذا كنت مشغولًا إلى هذا الحد .
وتأملت المكان حولها قائلة :
ـ يبدو أن حياة الريف قد استهوتك برغم أنك كنت تبغضها من قبل ..
ـ لقد بدأت أتولى مقاليد الأمور فى أرض أبى .. وأنا أطبق ما درسته .. وأحقق نجاحًا لا بأس به فى رفع إنتاجية الأرض .

ثم صمت برهة قبل أن يردف قائلًا :

- إن هذا على كل حال أفضل بكثير من الجنيهات القليلة التى كنت أحصل عليها كراتب من عملى فى وزارة الزراعة .

- هل يعنى هذا أنك طرحت فكرة السفر من تفكيرك ؟

- إن الأمل ضئيل فى الحصول على فرصة سفر مناسبة .

وعادت لتتأمل المكان حولها قائلة :

- حسن .. هل سنظل واقفين هكذا ؟ ألن تدعونى للدخول ؟

قال لها وقد عاوده الارتباك :

- هه ؟.. آه .. طبعًا .. طبعًا .. تفضلى .

لكن ما كادت أن ترتقى درجات السلم القليلة ، لتصل إلى الشرفة الدائرية المحيطة بالمنزل ، حتى بدا وكأنه تذكر شيئًا .. فعاد ليستوقفها قائلًا :

- ما رأيك لو جلست هنا قليلًا حتى أنبئهم بحضورك ؟

ثم أردف قائلًا :

- أنت تعرفين التقاليد هنا .. وحضورك المفاجئ هذا سيثير التساؤلات :

قالت له وهى تضع حقيبتها فوق حافة سور الشرفة :

- (صلاح) .. لقد جئت إليك اليوم مضحية بأية اعتبارات ، ومتحدية لكل التقاليد ؛ لكى أعرف منك شيئًا واحدًا .. ما هو مصير ارتباطنا سويًا ؟

تلعثم قائلًا وهو يردد كلماتها :

- مصير ارتباطنا ؟

نعم .. ولكى أكون أكثر تحديدًا .. فإننى أسألك .. أما زلت راغبًا فى الزواج منى ؟

* * *



٢ ـ وداعًا .. للأبد ..

حاول أن يتهرب من الإجابة قائلًا :

- سأخبرهم بحضورك .

لكنها أحست بغصة فى قلبها .. لتهربه من الإجابة على هذا النحو .. واستوقفته قائلة :

- (صلاح) .. ما هى إجابتك على سؤالى ؟

وفى تلك اللحظة خرجت فتاة متوسطة الجمال إلى الشرفة لتنادى عليه قائلة :

- (صلاح) .. أين أنت ؟

وما لبثت أن توقفت وهى تنظر إلى (يسرا) ، وملامح الفضول واضحة على واجهها .

أما (صلاح) فقد بدا فى أشد حالات الاضطراب ، وهو ينقل بصره بينهما ، وسألته تلك التى خرجت إلى الشرفة ، وعيناها مازالتا معلقتين على (يسرا) قائلة :

- من هذه ؟

أجابها (صلاح) متلعثمًا :

- إنها .. إنها .. الآنسة (يسرا) .. مهندسة زراعية ..

كانت زميلة لى فى الكلية .. وقد جاءت لزيارة بعض أقربائها فى بلدة مجاورة .. ففكرت فى أن تمر علينا لتسلم علىّ وعلى الأسرة .

وبدت (يسرا) مشدوهة للطريقة التى قدمها بها .. ولكذبه على هذا النحو غير المبرر .. فى حين بدت نظرات الشك فى عينى الفتاة الأخرى ..

سألته (يسرا) قائلة :

ـ لماذا لاتقدمها لى ؟.. هل هذه هى أختك (زينب) ؟

أجابها قائلًا ، والعرق يتصبب من جبينه :

ـ كلا .. إنها (سعاد) .. ابنة عمى .

وصمت برهة قبل أن يردف قائلًا :

ـ وزوجتى :

أحست بالأرض تميد تحت قدميها .. ونظرت إليه فى ذهول قائلة :

ـ زوجتك ؟!

قال لها (صلاح) وهو ينكس رأسه إلى الأرض :

ـ نعم .

ابتسمت زوجته قائلة :

ـ لقد تزوجنا منذ شهر ونصف تقريبًا .. يبدو أنك لم تعلمى بذلك .. مع أن بعض أصدقاء (صلاح) فى الكلية حضروا عرسنا .

ظلت (يسرا) صامتة برهة من الوقت، وكأنها تحاول أن تستوعب ما سمعته .

وتحولت بعينيها إليه وهو منكس الرأس، وقد أطلت منهما نظرة تعبر عن صدمتها .. قائلة له :

ـ مبروك .

قال لها وعيناه تعجزان عن النظر إليها :

ـ متشكر يا (يسرا) .

ـ ولو أنى أعتب عليك أنك لم تعلمنى بأمر زواجك فى حينه ؛ حتى يمكننى أن أقدم تهنئتى فى وقت ملائم .

قالت لها زوجته وهى تندفع نحوها وعلى وجهها ابتسامة كبيرة :

ـ لا تعتبى عليه .. فقد سافرنا بعد الزواج مباشرة وقضينا شهرًا كاملًا فى الإسكندرية .. كان شهر عسل حقيقيًا .

وفى تلك اللحظة خرج رجل تبدو عليه ملامح المهابة، وقد بدا وكأنه تجاوز الستين من عمره ببضع سنوات ..

حدج الرجل (يسرا) بنظرة فاحصة وفى عينيه نظرة تساؤل .

وما أن رآه (صلاح) حتى ازداد اضطرابه، واندفع نحوه مهرولًا وهو يقول :

ـ أهلًا يا حاج .. لماذا غادرت فراشك وقد أمرك الطبيب بالراحة ؟ .

أجابه الرجل بلهجة خشنة قائلًا وعيناه مازالتا تحدجان (يسرا) .

ـ لقد تعافيت .. ولم أعد بحاجة إلى البقاء فى الفراش .

قال له (صلاح) قبل أن يسأله وهو يشير إلى (يسرا) :

ـ أعرفك بالمهندسة (يسرا) .. زميلتى فى الكلية .

قال لها الرجل دون أن يحييها :

ـ لقد سبق وتحدثنا معًا هاتفيًا من قبل .. أليس كذلك ؟

أجابته (يسرا) قائلة :

ـ بلى ..

قال لها الرجل بلهجة ذات مغزى :

ـ لعلك قد جئت لتهنئة (صلاح) على زواجه من ابنة عمه .

صمتت (يسرا) دون أن تقول شيئًا .. وإن بدت أشياء وأشياء فى عينيها وهى تنظر إلى (صلاح) .
وقطعت زوجته هذا الصمت الثقيل قائلة لها :
ـ لماذا أنت واقفة هكذا ؟ تفضلى .. تفضلى بالداخل .
قالت لها (يسرا) بلهجة خافتة :
ـ أشكرك .. يتعين علىّ أن أسافر الآن .
تسافرى ؟.. ولكنك أتيت لتوك .. فلتبقى معنا هنا يومًا أو اثنين .
قالت (يسرا) وهى تحاول أن تتمالك نفسها :
ـ يتعين علىّ أن أسافر الآن .
ـ فلتبقى على الأقل حتى نتناول الغداء معًا .
نظرت إليه نظرة تعبر عن خيبة أملها قائلة :
ـ أشكرك .. لقد قمت بواجبك نحوى على أكمل وجه .
عاد ليطأطئ رأسه مرة أخرى، وهو لا يستطيع أن يواجه نظراتها .
بينما ألحت عليها (سعاد) قائلة :
ـ لن ندعك تسافرين هكذا .. إن هذا لا يصح .
وتدخل الأب قائلًا بلهجة حازمة :
ـ ما دامت قد قالت : لك إنها مضطرة للسفر الآن ..

فلا تلحى عليها .. ربما هناك مصلحة تستدعى سفرها .
حاولت (سعاد) أن تتكلم قائلة :
ـ لكن يا عمى ....
لكن الأب حسم الأمر فقد قاطعها قائلًا لـ (يسرا) بلهجة أقرب إلى الطرد :
ـ مع السلامة يا بنيتى .. شرفت دارنا .
أحست (يسرا) بأن كرامتها قد جرحت كما لم تجرح من قبل، وهى تحمل حقيبتها وتبادر بمغادرة المكان .
وتمنت لو أن الموت قد عرف طريقه إليها، قبل أن تأتى إلى هذا المكان، وتتعرض لهذه المهانة التى لم تعرفها فى حياتها .
قال (صلاح) لأبيه مستأذنًا :
ـ سأوصلها .
قال له الأب بقسوة :
ـ إنها تعرف الطريق الذى جاءت منه .
ـ ولكن لا يصح أن ندعها ترحل هكذا حتى بدون أن نوصلها .. إننا فلاحون ونعرف الأصول .. أليس كذلك يا (سعاد) ؟
قالت له (سعاد) متبرمة .. وقد اختفت لهجة الود والترحيب المصطنعة فى صوتها :

- بلى .. المفروض أن يوصل (صلاح) زميلته .
قال له الأب :
- حتى تستقل السيارة التى تقلها إلى محطة القطار فقط .. وبعدها تعود سريعًا ؛ لأننى بحاجة إلى مناقشتك فى بعض الأمور .
سارع (صلاح) للحاق بـ (يسرا) فى اللحظة التى غادرت فيها المنزل .. قائلًا :
- انتظرى يا (يسرا) .. إننى قادم معك .
وحاول أن يحمل عنها حقيبتها .. لكنها جذبتها من يده بشدة .. وسارت، وكأنها لا تشعر بوجوده .
قال لها (صلاح) بصوت خجل :
- أنا أعرف أنك الآن ناقمة علىّ .. وأنك قد أسقطتنى من نظرك .. ولكن لو تعلمين الظروف التى دفعتنى إلى ذلك يا (يسرا) .. ربما ..
قاطعته قائلة :
- عد إلى دارك يا (صلاح) .. فلست بحاجة إلى وجودك معى .
- (يسرا) .. أرجوك امنحينى فرصة، لكى أشرح لك موقفى .

موقفك ليس بحاجة إلى شرح .. إنه واضح تمامًا .. لقد عشت مخدوعة لفترة طويلة من الزمن، مع إنسان تصورته يحبنى، وأنه مخلص، ووفى لحبه لى .. ولكن .
وتوقفت عن متابعة الحديث قبل أن تقول وصوتها يعبر عن ألم حقيقى :
- لقد عرضتنى لمهانة لم أتعرض لها طوال حياتى .
واستطردت قائلة وقد ارتسمت ملامح الألم على وجهها :
- لماذا فعلت بى ذلك ؟ وأين ذهب كل ما قلته عن حبك لى ؟.. وكل تلك الآمال التى صورتها، والأحلام التى حلمنا بها حول زواجنا المنتظر ؟
- إن الحياة تضطرنا أحيانًا للتخلى عن أحلامنا .
- إننا نتخلى عن أحلامنا فقط عندما ما لا نكون مخلصين لها إخلاصًا حقيقيًا .. ومن الواضح أنك لم تكن مخلصًا فى كل ما قلته لى .
- بل كنت مخلصًا فيما قلته .. ولكن ..
قاطعته (يسرا) قائلة :
- لكنك كنت أضعف من أن تتمسك بإخلاصك هذا .
- (يسرا) .. أرجوك .

- إننى لست آسفة على أن الأمر قد انتهى بيننا هكذا .. ولا أحاول أن أعاتبك .. ولكن ما لا أستطيع أن أغفره لك هو أنك قد أخفيت عنى خيانتك لحبنا وزواجك من ابنة عمك .. ووضعتنى فى هذا الموقف الجارح والمهين .

ولكن .. لا .. ليس الخطأ خطأك .. إنه خطئى أنا .. كان يتعين علىّ أن أفهم .. وأدرك الحقيقة التى حاولت أن أتجاهلها .

فانقطاعك عن الاتصال بى .. وعدم ردك على خطاباتى .. وابتعادك عن التحدث إلى .. واختفاء لهفتك السابقة على لقاءاتنا .. كان ذا دلالة واضحة .

ولكننى لم أصدق .. لم أكن لأصدق أن كل تلك الوعود والأحلام والأمانى قد ذهبت أدراج الرياح .

وأن الرجل الذى كان يذوب فيها حبًا ، يمكن أن يهون عليه حبه هكذا .

- (يسرا) .. لقد اضطررت إلى الزواج من (سعاد) تحت ضغط من والدى .. وأنت لا تعرفين والدى .. عندما يريد شيئًا لا يمكن لأحد أن يخالفه .. لقد هددنى بحرمانى من الميراث وبطردى من منزله .. لو لم أتزوج من ابنة أخيه .

أخبرنى بأنه سيبيع الأرض ويخفى ثمنها فى مكان غير معلوم .. ولن يترك لى قرشًا واحدًا بعد موته - برغم أننى ابنه الوحيد - لو لم ألتزم برغبته فى زواجى من ابنة عمى .. ولن يكون لى مكان فى منزله ، بل ولا فى البلدة بأسرها لو أصررت على زواجى منك .

ماذا كان باستطاعتى أن أفعل ؟ السفر إلى الخارج وأبوابه أغلقت أمام وجهى ؟.. هل أعود إلى الوظيفة المتواضعة والأجر الضئيل الذى أحصل عليه منها ؟ وهل يكفى هذا الراتب لتحمل عبء الزواج فى هذا الزمن الصعب ؟

لقد ظللت طوال حياتى أعتمد على المساعدة المالية التى يمدنى بها أبى ، حتى بعد أن عينت فى تلك الوظيفة .. ولولاها لم أكن أستطيع الحصول على مسكن مناسب .. أو تحمل نفقات المعيشة وأنا بمفردى .. فما بالك لو أصبحت زوجًا ومسئولًا عن أسرة ؟

نظرت إليه (يسرا) برثاء قائلة :

- كثيرون يحصلون على راتب أقل منك ، ولا يتلقون مساعدة من آبائهم .. ومع ذلك لم يضحوا بحبهم ويتخلوا عمن أحبوهم بالسهولة التى أقدمت عليها .

ـ وأية حياة تلك التى يحياها أمثال هؤلاء ؟

ـ حياة ملؤها الحب والسعادة .

قال لها متهكمًا :

ـ حب .. وسعادة .. كيف ؟ برواتبهم الضئيلة ومطالب الحياة التى لا ترحم ؟.. قولى هموم .. وفقر .. ومشاكل لا تنقطع .

نظرت إليه مليًا قائلة :

ـ لقد تغيرت كثيرًا يا (صلاح) .. فلم تكن هذه هى كلماتك فيما قبل .

ـ لقد غيرتنى الحياة .

ـ هكذا .. خلال شهر ونصف .

ـ عندما هددنى والدى بحرمانى من الموارد المالية التى كان يمدنى بها ، وبتركى أتعامل مع الحياة بمفردى .. راجعت نفسى .. أخذت أحسب الأمور وأتأمل حياتى فى الحاضر وفى المستقبل .. ولم أجد بدًا من أن أرضخ لإرادته .. لا حفاظًا على الروابط الأسرية فقط ، ولكن لعجزى عن مواجهة متطلبات الحياة بمفردى .. يمكنك أن تتهمينى بالضعف أو التخاذل الآن .. ولكن عندما تنفردين بنفسك وتراجعين الأمور ستكتشفين أنه استسلام للواقع ..

الواقع الذى لا يمكننى أن أبدله .

ـ ليس الضعف ولا التخاذل فقط يا (صلاح) .. ولكن الطمع .. أطماع الحياة .. لقد طمعت فى مساعدة أبيك المادية .. وفى الأرض التى سترثها من بعده . وربما فى الأرض التى يمكن أن تحصل عليها من وراء زواجك من ابنة عمك .. وهذا هو الحساب الحقيقى الذى ضحيت من أجله بحبنا .

لقد كان لكلمات الحب وقتها وزمانها .. الذى ذهب وولى بالنسبة لك .. وهى كلمات لا شأن لها بمشروع زواجك الذى بنى على الحسابات المادية فقط .

لقد كنت مخطئة يا (صلاح) عندما قلت لك : إنك قد تغيرت .. فالحقيقة أنك لم تتغير .. وإنما رفعت القناع الذى ظللت أراك به عن وجهك الحقيقى .. ويا له من وجه لم أتخيله !.

ـ لن ألومك لو قلت ما هو أكثر من ذلك .. فأنا أعرف أننى أخطأت فى حقك .. ولكن يجب أن تعرفى أننى أحببتك ومازالت أحبك حقًا .يا (يسرا) .

قالت له متهكمة :

ـ تحبنى ؟.. ألم تر أن هذه الكلمة قد فقدت معناها بالنسبة لى ؟

ـ أنا واثق أنك أيضًا تحبيننى .. برغم أن الظروف قد باعدت بيننا .

ـ لقد أحببت إنسانًا آخر غير الذى أراه أمامى .. إن (صلاح) الذى أحببته قد مات وانتهى بالنسبة لى .

ـ لا تقولى هذا يا (يسرا) .

ـ عد لزوجتك وأبيك يا (صلاح) .. فلست بحاجة لوجودك معى .

ـ سأبقى معك حتى تستقلى السيارة الذاهبة إلى المحطة .

ـ يمكننى أن أستقلها بمفردى دون حاجة لبقائك .

ـ ولكنى ...

قاطعته قائلة :

ـ أرجوك يا (صلاح) .. دعنى بمفردى .. قلت لك عد لمنزلك .

ـ أريد منكِ أن تصفحى عنى .

ـ وأنا أريدك أن تذهب الآن .

وبقى واقفًا برهة من الوقت وهو متردد .. ثم قال لها :

ـ وداعًا يا (يسرا) .

اتخذ كل منهما طريقه .. فاتجه هو عائدًا إلى منزله .. فى حين واصلت هى طريقها فى انتظار مرور السيارة المتجهة إلى المحطة .

لكنها لم تلبث أن توقفت بعد بضع خطوات قليلة لتنخرط فى بكاء حار وعنيف .

* * *



٣ ـ الخائفة ..

وقفت (يسرا) عدة ساعات فى انتظار مرور سيارة ركاب دون جدوى .

وبدأ الليل يلقى بظلمته على المكان مما زاد من سوء حالتها .. وأضاف إلى عبئها النفسى .. إرهاقًا بدنيًا شديدً .

وأحست بأنها تكاد أن تفقد وعيها من شدة التعب .. فارتكزت على أحد جذوع الأشجار وهى تفكر .. ماذا تفعل؟

أتعود إلى منزل (صلاح) وتطلب المبيت لديهم هذه الليلة ، حتى يأتى النهار وتجد من يوصلها إلى محطة القطار ؟

كان من المستحيل أن تنفذ هذا الحل .

إنه لم يعرض عليها حتى أن يوصلها بسيارة والده ، وهى تعلم بأنه يمتلك سيارة خاصة .. بل اكتفى بمرافقتها لتستقل إحدى سيارات (الميكروباص) .. لتنقلها إلى المحطة .. ويا له من حبيب شهم !

أتلجأ إلى أحد منازل الفلاحين القريبة من المكان .. وتطلب المبيت لديهم حتى الصباح .. أم تبحث عن أية

وسيلة مواصلات أخرى حتى لو كانت (دابة) لتنقلها إلى المحطة ..

وبينما هى غارقة فى أفكارها .. فوجئت بسيارة زرقاء تتوقف إلى جوارها .. وقد أطل من نافذتها وجه أحد الأشخاص يسألها قائلًا :

ـ يبدو أنك غريبة عن هنا .

هزت رأسها قائلة :

ـ نعم .

سألها قائلًا :

ـ هل أنت بحاجة لمساعدة ما ؟

أجابته قائلة :

ـ إننى فى انتظار سيارة ميكروباص لتقلنى إلى محطة القطار .

نظر الشاب إلى ساعته قائلًا :

ـ سيارة ميكروباص .. لكن سيارات الميكروباص لا تعمل الآن .

إن السائقين يتوقفون عن العمل على هذا الخط بعد الخامسة مساء .. فهم مرتبطون بموعد القطار المتجه إلى القاهرة غالبًا .. والقطار الأخير المتجه إلى القاهرة تحرك منذ ساعة ..

ارتسمت على وجهها ملامح القلق وهى تقول :

ـ منذ ساعة .. ولكن ..

سألها قائلًا :

ـ هل أنت مسافرة إلى مصر ؟

ـ نعم ..

عاد ليسألها قائلًا :

ـ لماذا لا تقضين الليلة فى البلدة ، وتسافرين غدًا فى الصباح ؟ سيكون هذا أفضل .

ـ لا أستطيع ..

قال لها :

ـ حسن .. يمكنك أن تستقلى إحدى سيارات الركاب المتجهة إلى مصر .. إنها تعمل طوال الليل .. ولو أنى لا أفضل سفر فتاة جميلة مثلك ليلًا بمفردها .

ـ هل أستطيع ذلك حقًا ؟

أجابها قائلًا :

ـ نعم .

عادت لتقول بقلق :

ـ ولكن كيف أصل إلى موقف هذه السيارات ؟

أجابها قائلًا :

ـ إنها بجوار محطة القطار .. ويمكننى أن أوصلك إلى هناك .

أحست بارتياح وهى تقول له :

ـ حقًا :

فتح لها الباب الجانبى بجواره قائلًا :

هيا .. اركبى .

ركبت إلى جواره .. وقد أحست بأن لقاءها به جاء نجدة من السماء . فى هذا الوقت .

سألها قائلًا وعيناه معلقتان على الطريق أمامه :

ـ هل هذه هى المرة الأولى التى تأتين فيها إلى هذه البلدة ؟

أجابته قائلة :

ـ نعم .

عاد ليسألها قائلًا :

ـ ألك أقارب فيها ؟

ـ كلا .. لقد كنت فى زيارة بعض المعارف .

التفت إليها قائلًا :

ـ لكن .. كيف تركوك ترحلين وحدك هكذا ؟ ودون أن يذهب أحدهم لتوصيلك .

كانت هذه هى المرة الأولى التى يتاح لها فيه أن ترى وجهه عن قرب .. كان شابًا جذابًا .. له عينان تشعان دفئًا .. وبشرة سمراء محببة .

وكانت خصلات شعره السوداء المتهدلة فوق جبينه من أثر نسمات الهواء المنعشة ، تضفى عليه مزيدًا من الجاذبية .

أما صوته .. فكان قويًا رخيمًا .. وإن كان لا يخلو من دفء مماثل لذلك البريق فى عينيه .

لم تجد ما تجيبه به .. وإن أثار سؤاله شجونها .

ظل يحدق فى عينيها لبرهة من الوقت .. ثم عاد ؛ لينظر إلى الطريق أمامه .

وقد أدرك أن الفتاة تعانى من مشكلة ما .. وأنه من الأفضل ألا يلح عليها فى السؤال .

قال لها دون أن يلتفت إليها مرة أخرى :

ـ لقد نسيت أن أقدم لك نفسى .. (سامح عبد الفضيل) .

قالت له بصوت خافت :

ـ (يسرا إسماعيل) .

ابتسم لها قائلًا :

ـ اسم لطيف .

وأردف قائلًا :

ـ هل تعملين يا (يسرا) ؟

أجابته قائلة :

ـ نعم .. إننى مهندسة زراعية .

اتسعت ابتسامته وهو يقول :

ـ شىء مدهش .

نظرت إليه باستغراب قائلة :

ـ وما المدهش فى ذلك ؟

أجابها قائلًا :

ـ لأننى أنا أيضًا مهندس زراعى .. إلى أية جامعة تنتمين يا (يسرا) ؟

ـ جامعة القاهرة .

ـ آه .. لهذا لم أتعرف عليك .. فمن المستحيل ألا يلحظ المرء فتاة جميلة مثلك .. خاصة ونحن نبدو متقاربين فى السن .. أو ربما أكبرك ببضع سنوات .. ذلك لأننى حصلت على شهادتى من جامعة الإسكندرية .

سألته قائلة :

ـ هل تقيم هنا ؟

ـ إننى أقيم فى قرية تبعد عن هنا بضعة كيلومترات .
ـ وهل تمارس عملك هنا أيضًا ؟
ـ ليس بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة .. ولكنى أشغل وقتى برعاية مزرعة والدى .. لأننى لم أعين فى مكان ما بعد .
ـ إذن فهو عمل مؤقت .
ـ وإقامة مؤقتة أيضًا .. فأنا لا أنوى قضاء بقية حياتى فى تلك القرية بالطبع .
ـ هل تنوى السفر إلى الخارج ؟
ـ كلا .. ولكنى أرغب فى ممارسة الأعمال الحرة .
واستطرد قائلًا :
ـ لكنك لم تخبرينى .. من هم معارفك الذين كنت تزورينهم هنا . لابد أننى أعرفهم ، لأن لى أنا أيضًا معارف وأصدقاء كثيرين فى هذه البلدة .
أطلقت زفرة قصيرة وهى تنظر إلى الطريق أمامها قائلة بعد تردد :
ـ المهندس (صلاح إبراهيم) .
ابتسم (سامح) قائلًا :

ـ (صلاح إبراهيم السويفى) .
ـ هل تعرفه ؟
ـ لقد تقابلت معه مرتين أو ثلاث مرات .. فمعرفتى به سطحية .. ولكنى على صلة صداقة وطيدة بابن عمه (محمود) .
لابد أنكما كنتما زملاء دراسة .. فهو أيضًا خريج كلية الزراعة جامعة القاهرة .
ـ نعم .. كنا زملاء .
ـ ولكن الدافع الذى يجعلك تأتين لزيارة أسرته هنا .. لابد أن هناك صلة قوية تربط بينك وبينهم أكثر من صلة الزمالة .
ولما رآها صامتة وغير راغبة فى استكمال الحديث .. اعتذر لها قائلًا :
ـ آسف .. إننى لا أريد أن أبدو متطفلًا .. كل ما هنالك أننى أحاول أن أتجاذب معك أطراف الحديث .. حتى تصلى إلى موقف السيارات المتجهة إلى مصر .
نظرت (يسرا) إلى الطريق الذى انحرف إليه (سامح) بسيارته ، والذى يخترق الحقول قائلة :

ـ ولكن .. ليس هذا هو الطريق .
ابتسم قائلًا :
ـ نعم .. أعرف هذا .. إننى أريد أن أمر أولًا على دار قريبة من هنا . لأسلم أهلها شيئًا .. ثم نواصل طريقنا .
نظرت إليه (يسرا) فى ارتياب :
ـ لكنك لم تخبرنى بذلك .
ـ إن الأمر لن يستغرق أكثر من ربع ساعة فقط .
قالت له (يسرا) متحفزة :
ـ لكن كان يتعين عليك أن تخبرنى بذلك قبل أن تدعونى إلى ركوب سيارتك .
ـ وأتركك وحدك هكذا فى ذلك الطريق المقفر ، دون أن أعرض عليك المساعدة ؟.. هذا أمر لا يليق بالرجال .
ظلت ترقبه بارتياب وهى تشعر بالقلق تجاه نواياه .. خاصة مع ازدياد الليل ظلمة .
ثم قالت له :
ـ هل ستبقى طويلًا فى تلك الدار ؟
ـ قلت لك : إن الأمر لن يزيد عن ربع ساعة .
ـ أما زالت هذه الدار بعيدة ؟
قال لها (سامح) وهو يتأملها :

ـ إننا نقترب منها .. هل تعرفين أنك جميلة للغاية ؟
قالت له فجأة بلهجة حازمة :
ـ من فضلك أعدنى من حيث جئت !
ـ كيف يكون هذا ؟ وماذا ستفعلين فى هذا المكان بمفردك ؟
ـ سأعود إلى منزل الحاج (إبراهيم السويفى) .
ـ لكنك قلت : إنك تريدين السفر إلى القاهرة الليلة .
ـ لقد غيرت رأيى .
حدجها بنظرة فاحصة قائلًا :
ـ هل تخافين منى ؟
حاولت أن تظهر شجاعة أمامه قائلة :
ـ كلا .. كل ما هنالك أننى غيرت رأيى .. وأريد أن أبيت الليلة فى منزل الحاج (إبراهيم) .
ـ حسن .. ولكن بعد أن أتم مهمتى أولًا .
قالت له بعصبية :
ـ قلت لك أريد أن تعيدنى الآن .. أو أنزلنى هنا .
قال لها بانفعال :
ـ كيف أتركك هنا وسط هذه الحقول .. وفى هذا المكان المظلم ؟

ـ لا تدفعنى للصراخ .
نظر إليها بدهشة قائلًا :
ـ الصراخ ؟!
ـ نعم .. إذا أصررت على عدم إعادتى من حيث جئت .
ـ إذن فهذا صحيح .. أنت تخشيننى .
وتأمل المكان حوله قائلًا :
ـ على كل حال .. لوصرخت فلن يسمعك أحد هنا .
واقترب بوجهه منها وهو يستطرد قائلًا :
ـ كما أننى أستطيع أن أحُول بينك وبين الصراخ .. لو وضعت يدى على فمك .
تراجعت (يسرا) برأسها إلى الوراء فى خوف قائلة :
ـ إذن .. فشكوكى فى محلها .. إنك تضمر لى شرًا .
ـ يبدو أنك قد اعتدت الشك فى الآخرين .
قالت له وهى تكاد تبكى :
ـ أرجوك .. أتوسل إليك أعدنى من حيث جئت .. ولاتلحق بى الأذى .
قال لها بانفعال واضح :

ـ أى أذى هذا الذى تتحدثين عنه ؟ أهذا هو جزانى لأننى قدمت لك يد المساعدة ؟
وفجأة صدر صوت غريب من محرك السيارة .. فأوقفها محدثًا صريرًا عاليًا .
عادت لتتراجع فى مقعدها ونظرات الخوف تتراقص فى عينيها قائلة :
ـ لماذا أوقفت السيارة ؟!
لكنه لم يجبها .. بل نظر إليها شذرًا .. وهو يغادر السيارة حيث فتح غطاء المقدمة وبدأ يفحصها .
بينما انكمشت هى فى مقعدها .. وتمنت لو أنه ترك مفاتيح السيارة .. فى مكانها لتهرب بها .. بعد مغادرته إياها .
كما فكرت فى أن تسارع بمغادرة السيارة لتركض بعيدًا عنها .
لكن ربما لو فعلت ذلك ، لحفزته على الركض وراءها ، واللحاق بها ، ليعجل بالاعتداء عليها .
وحتى لو حاولت أن تهرب .. فأين تذهب فى هذا المكان الذى تحاصره الحقول ؟ وهى لاتجد أمامها أى شخص ، لتستغيث به .

وبينما هى مستغرقة فى أفكارها .. محاولة البحث لنفسها عن أى مخرج من هذا المأزق العصيب، الذى وجدت نفسها فيه مع شخص لاتوحى تصرفاته بالثقة ولا الأمان .

وجدته وقد أغلق غطاء مقدمة السيارة عائدًا إليها وهو يقول :

ـ هذا ما كان ينقصنا .. لقد أصيبت السيارة بعطب .

قالت له بعصبية :

ـ حيلة مكشوفة .. بالطبع أنك تتظاهر بأنها لاتدور لغرض فى نفسك .

وسألها قائلًا :

ـ هل تعرفين قيادة السيارات ؟

أجابته قائلة :

ـ كلا .

ـ لو كنت تجيدين قيادتها ؛ لأسلمتك مفاتيحها لتجربى قيادتها بنفسك، وتعرفى أننى لا أتظاهر بأنها معطلة .. ولكن هذه هى الحقيقة فعلًا .

ـ إذن فأنت الذى تعمدت إعطالها لتحقيق نواياك السيئة .

أطلق زفرة تعبر عن ضيقه قائلًا :

ـ كيف يمكننى إقناعك ؟.. على كل حال الدار التى أبغى الذهاب إليها ليست بعيدة كثيرًا عن هنا .

ـ هل تريدنى أن أذهب معك فى هذا الطريق المظلم ؟

فتح باب السيارة ليجلس أمام عجلة القيادة قائلًا :

ـ بل أقترح أن تبقى هنا .

وبدأ فى إغلاق الأبواب الخلفية للسيارة .

نظرت إليه وهو يعمل على إغلاق الأبواب الخلفية ، وقد زادت مخاوفها .. وما لبثت أن فتحت الباب الذى يجاورها قبل أن يعمد إلى إغلاقه أيضًا .. وانطلقت راكضة فوق الطريق فى الاتجاه العكسى .

هتف (سامح) قائلًا :

ـ أيتها الحمقاء .. ماذا تفعلين ؟

لكن (يسرا) لم تأبه له .. بل أخذت تركض بأقصى ما لديها من سرعة ، وهى تحاول الهرب منه .

وفجأة توقفت وقد انطلقت منها صرخة مدوية .. فقد رأت كلبًا شرسًا يعترض طريقها .. وهو ينبح بشدة أثار مخاوفها .

وبدا وكأن الكلب سيهم بالانقضاض عليها بين لحظة وأخرى . ولولا أنها أحست بساعد يحيط كتفيها وصوت هامس يقول لها :

ـ لا تصرخى .. ولا تظهرى له أنك خائفة !.

إن تلك الكلاب مدربة على حراسة الحقول ، وقد ينقض عليك لدى أدنى حركة تقومين بها ، لذا احتفظى برباطة جأشك .

كانت يده قابضة على كتفها بقوة وصلابة على نحو أنساها خوفها منه .

بل أحست أن أصابعه الدافئة تعيد إليها الاطمئنان برغم الخطر الذى يتهددها .. إزاء ذلك الكلب الشرس .

وتقدم (سامح) خطوتين تجاه الكلب بعد أن نحاها خلفه .. ثم انحنى على الأرض فى حركة سريعة ؛ ليتناول أحد الأحجار .. وقذفه بها وهو يصيح فيه بصوت عال .

أحس الكلب بصلابة الشخص الذى يتصدى له .. فتراجع إلى الوراء وهو مستمر فى النباح .. ثم ما لبث أن انطلق مبتعدًا من حيث جاء .

وتنفس (سامح) الصعداء حينما رأى الكلب يعود إلى الحقل .

ثم التفت إليها قائلًا بحدة :

ـ أرأيت نتيجة حماقتك ؟.. إن ركضك على هذا النحو جعل الكلب يطاردك .. وكان من الممكن أن يمزقك بأنيابه وأظفاره الآن .

لم تجبه .. بل استسلمت ليده وهى تقبض على ذراعها ليعيدها إلى السيارة .. وكأنها مخدَرة ..

لكن ما أن استقرت داخل السيارة .. حتى تنبهت لنفسها .. وأدركت بأنه إذا كان خطر الكلب قد زال .. فإن خطر الذئب الذى يصحبها لم يزل بعد .

قالت له وقد عاودتها مخاوفها :

ـ كنت أفضل أن أتعرض لأنياب الكلب ، عن البقاء معك فى هذه السيارة .

نظر إليها فى غضب قائلًا :

ـ هكذا ؟.

وقام بفتح باب السيارة الذى يجاورها وهو يستطرد قائلًا :

ـ حسن .. يمكنك أن تغادرى سيارتى .. تذهبى حيثما

شئت لو أردت .. ولكن يجب أن تعلمى أننى لن أحاول إنقاذك من أى خطر يمكن أن تتعرضى له .

همت (يسرا) بمغادرة سيارته .. لكنها تذكرت كلاب الحقول وما يمكن أن يلحقوه بها من أذى .. فترددت قليلًا .. ثم مالبث أن تغلب عليها خوفها .. فآثرت البقاء .

عاد ليقول لها :

- ماذا تظنين أنى فاعل بك ؟ إننى لا أحاول أن أخدعك .. والسيارة معطلة بالفعل .. وبحاجة إلى إصلاح .

قالت له بصوت مرتجف :

- إذن .. هل تعدنى بأنك لن تحاول إلحاق الأذى بى ؟

لم يجبها .. بل أطلق زفرة قصيرة ، وهو يعاود إغلاق الباب .. ثم أغلق النوافذ تاركًا فجوة صغيرة فى النافذة التى تجاوره .

- وغادر السيارة وهو يغلق بابها خلفه بعنف قائلًا :

- سأذهب لأبحث عمن يصلح السيارة .. وبعدها أوصلك إلى موقف السيارات .. أو أعيدك من حيث جئت حيثما تشائين .

ثم ألقى لها بمفاتيح السيارة من خلال النافذة وهو يردف قائلًا :

- هذه هى المفاتيح .. حتى تكونى مطمئنة . احتفظى بالأبواب مغلقة عليك حتى أعود .. وإذا فكرت فى مغادرة السيارة ، فأنا لن أكون مسئولًا عنك .. وعما يمكن أن تتعرضى له من خطر .

ثم ابتعد عن السيارة حتى اختفى أمام عينيها .

ظلت واجمة فى مكانها وهى تقلب المفاتيح بين يديها .

وأنبت نفسها قائلة :

- يبدو أننى كنت مخطئة فى حق هذا الرجل .. وأظن أنه أهل للثقة .

أرخت رأسها فوق مسند السيارة .. وهى تشعر بإرهاق وتعب شديدين .

وأخذت تستعيد ما حدث لها منذ أن سافرت .. وتذكرت ما قاله لها (صلاح) .. والموقف المهين الذى تعرضت له .. وكلمات أبيه معها التى كانت أشبه بالطرد .. ثم ما آل إليه حالها .

إنسانة مهانة .. مصدومة فى حبها ومشاعرها .. مجروحة فى كبريائها .. وها هى ذى جالسة فى سيارة شخص غريب لا تعرفه .. فى مكان مقفر ومظلم .. معرضة لأنواع شتى من المخاطر والمتاعب .

وتنهدت بعمق وقد انحدرت عبرة فوق وجنتها قائلة لنفسها :

ـ ما كان يتعين علىّ أن أسافر منذ البداية .. إننى أستحق كل ما جرى لى .

★ ★ ★



٤ ـ جـراح نفس ..

استسلمت (يسرا) لغفوة قصيرة ، استسقظت منها على صوت دقات على زجاج نافذة السيارة .

كان الليل حالك الظلمة .. فلم تستطع أن تتبين صاحب الدقات فقالت فزعة .

ـ من ؟

سمعت صوته يقول لها .

ـ أعطنى مفاتيح السيارة .

أضاءت أنوار السيارة الداخلية ، وقد أحست هذه المرة بالطمأنينة لسماع صوته .

فقد مرت عليها الدقائق التى تلت ابتعاده ثقيلة وذات رهبة ، ولولا تعبها الشديد لما استسلمت للنوم ، وسط هذا الجو المقبض ، وأخذت تبحث عن مفاتيح السيارة .. وهى لا تدرى أين وضعتها يداها .

فقال لها بصوت نافذ الصبر :

ـ هل أضعتها ؟

قالت له وهى تخشى أن تغضبه :

ـ كلا .. لقد تركتها فى مكان ما هنا .. ها هى ذى .
وعثرت عليها ، ثم فتحت زجاج نافذة السيارة لتقدمها له قائلة :
ـ هل عثرت على أحد لإصلاح السيارة ؟
لكنه لم يجبها .. واستطاعت أن ترى ملامح التجهم على وجهه وهو يفتح باب السيارة .. ليجلس أمام عجلة القيادة .. ويضىء أنوار كشافاتها الأمامية .
وتمكنت من أن ترى أحد الأشخاص واقفًا أمام مقدمتها على ضوء هذه الكشافات .. حيث هتف له قائلًا وهو يرفع غطاء مقدمة السيارة .
ـ هذا .. حسن .
وغادر (سامح) السيارة مرة أخرى ، ليقف بجوار ذلك الشخص وهو يتفحص محركها .
بينما نظرت (يسرا) فى ساعتها ، لتتبين أنه قد مر عليها ساعة كاملة منذ أن غادرها (سامح) ليحضر من يصلح السيارة .
وعاد (سامح) ليجلس أمام عجلة القيادة ويدير محرك السيارة وهو يتجاهلها تمامًا .
بينما نادى عليه الميكانيكى قائلًا .

ـ حسن .. أوقف المحرك الآن .
ظلت (يسرا) قابعة فى مكانها ، وهى تتابع إصلاح السيارة دون أن تنبس بكلمة .. فكل مايعنيها الآن هو أن تجد حلًا لمشكلتها وتبتعد عن هذا المكان الموحش ..
وهى لاتريد أن تغضب (سامح) بأى استفسار أو جدال .
فقد أحست أن أية كلمة ستصدر عنها ، ستجعله ينفجر ، وهو على هذه الحالة من التجهم والغضب .
وأخيرا انتهى الرجل من إصلاح السيارة حيث توجه إلى (سامح) قائلًا :
ـ إنها الآن بحالة جيدة .
أنقده (سامح) أجره وهو يشكره ، حيث عاد الرجل من حيث أتى بوساطة دراجته البخارية .
ونظر إليها (سامح) قائلًا :
ـ هل تأكدت الآن أن السيارة كانت معطلة بالفعل ؟
قالت له وهى تنكس رأسها بخجل .
ـ أنا آسفة .. لكن يجب أن تقدر موقفى .. إننى لم أعتد ركوب سيارات الآخرين دون سابق معرفة .. ولولا المأزق الذى وجدت نفسى فيه لما فعلت .. لذا فقد شككت ......

قاطعها قائلًا :

ـ والآن إلى أين تريدين الذهاب ؟ هل أعيدك من حيث جئت أم أذهب بك إلى موقف السيارات ؟

قالت له وهى تنظر فى ساعتها باضطراب .

ـ لست أدرى .. إن الوقت تأخر بى .. وأخشى من السفر فى هذا التوقيت .

سألها قائلًا :

ـ إذن .. هل أعود بك إلى منزل (الحاج إبراهيم) ؟

قالت له بتردد :

ـ كلا .. لا أفضل ذلك .

ثم قالت بعد برهة من الصمت :

ـ لابأس .. أعتقد أنه لامناص من السفر إلى القاهرة فى هذا الوقت المتأخر من الليل .

ـ لدى حل آخر .

ـ وما هو ؟

ـ أخشى لو قلته لك أن يعاودك ارتيابك نحوى .. وتظنين فى الظنون .

ابتسمت برغمها قائلة !

ـ لاأظن أننى سأفعل .. فأنا الآن أكثر ثقة فيك .

ـ حسن .. إن منزلنا قريب من هنا على مسافة عشرين دقيقة فقط .. ما رأيك لو جئت لتمضية الليلة لدينا ؟.. وقبل أن تقولى أى شىء .. يجب أن تعرفى أن هذا المنزل يضم والدى .. وأختى .. ورجلًا وسيدة يعملان فى خدمتنا .

وأن منزلنا يضم سبع غرف .. أى أنك ستكونين على راحتك وفى أمان تام .

قالت له وهى مترددة .

ـ لا أدرى ماذا أقول لك ؟

ـ إذا كنت تثقين فىَّ حقًّا .. لن تقولى شيئًا .. وإنما ستأتين معى .

ـ ولكن .. ماذا سيقول والدك .. وأختك عندما يرونك تأتى إلى المنزل فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ، وأنت تصحب معك فتاة لا يعرفانها ؟.. وماذا ستكون نظرتهما لى ؟

ـ إن والدى ليس رجلًا رجعيًا كما تتخيلين .. بل هو رجل مثقف ومتفتح .. وكذلك أختى .. فهى فتاة جامعية ولماحة .

وعندما أشرح لهما الأمر .. فإنهما سيتفهمانه .

ـ حسن .. مادمت ترى ذلك .

وأدار (سامح) محرك السيارة متجهًا بها إلى منزله .

وابتعد عن الحقول .. حيث بدأت الأنوار تظهر على الطريق العمومى مرة أخرى .

. وأتاح لها هذا أن تلقى نظرة على وجه (سامح) بعد أن حال الظلام الدامس بينها وبين ذلك .

كانت نظراته مركزة على الطريق أمامه .. ومرة أخرى اكتشفت أنه يتمتع بوجه وسيم وملامح رجولية محببة .

وأحست بالخجل من نفسها ؛ لأنها لم تمنحه ثقتها منذ البداية .

لكنها عادت لتقول لنفسها :

ـ يتعين على ألا أتسرع فى إصدار حكمى .. قبل أن أرى كيف ستنقضى هذه الليلة .. فمن يدرى ؟.. كيف سيكون تصرفه معى لو ذهبت إلى منزله ؟.. وهل سأكون فى رعاية والده وأخته حقًّا كما يدعى .. أم أنه يحاول فقط اكتساب ثقتى لغرض فى نفسه .

وسرعان ما أنبت نفسها بشدة على هذا التفكير قائلة لنفسها :

ـ ألن تتوقفى عن شكوكك هذه ؟.. أهذا هو جزاء المساعدة التى قدمها لك .. منذ أن التقى بك حتى الآن ؟

إنه لم يرتكب أى فعل حتى الآن يبرر ارتيابك فيه .. عدا أن مظهره يوحى بالفعل بالثقة .. ولا أدرى كيف لم أتبين ذلك من قبل .

نعم .. يمكننى أن أثق بهذا الرجل .. بل ويتعين على أن أعتذر له عن شكوكى نحوه .. وأشكره على ما قدمه لى .

ولاحت من بعيد أنوار قرية صغيرة .. فقال لها دون أن ينظر إليها :

ـ لقد اقتربنا من المزرعة .

ـ هل يقع منزلكم وسط المزرعة ؟

ـ على أطرافها .. إنها ثلاثون فدانًا من الموالح .. وحظيرة للماشية .. وأخرى للدواجن .. ومنحل صغير .. هذه هى كل حياة أبى .

ولكن عما قريب سيتغير كل ذلك .

نظرت إليه بدهشة دون أن تدرى مغزى كلمته هذه .. لكنها سألته قائلة :

ـ وهل تقيم هنا بصفة دائمة ؟

ـ إن لى منزلًا فى الإسكندرية .. وأنا أتنقل ما بين المزرعة وبين الإسكندرية .. وإن كنت لا أخفى عليك .. أننى أفضل الإسكندرية عن هذه القرية وتلك المزرعة كثيرًا .

ولولا ارتباطى بوالدى وأختى ، لما أتيت إلى هنا مطلقًا .
ـ تقول ذلك مع أنك مهندس زراعى .
ـ هذا هو ما تقرره الشهادة التى حصلت عليها .. أما ميولى فهى مختلفة تمامًا .
مرت برهة من الصمت بينهما قبل أن تقول :
ـ إننى آسفة .
التفت إليها قائلًا :
ـ آسفة .. على ماذا ؟
وعندما التقى وجهه بوجهها .. أيقنت هذه المرة على نحو أكثر مدى الجاذبية التى يتمتع بها .. فأحست بارتباك .. لكنها سرعان ما سيطرت على ارتباكها وهى تقول له :
ـ على تصرفى تجاهك .
نظر إلى الطريق أمامه قائلًا :
ـ لقد اعتذرت عن ذلك من قبل .. فلا داعى لتكرار الاعتذار .
ـ إذن .. فأنت الآن لست غاضبًا منى .
نظر إليها وقد لاحت على وجهه شبه ابتسامة ، دون أن يعلق بشىء .

وما لبث أن توقف بالسيارة أمام باب خشبى كبير حيث أخذ ينادى قائلًا :
ـ (جعفر) .. (جعفر) .
وتساءل قائلًا :
ـ أين ذهب هذا الخفير ؟
وسرعان ما لمحت (يسرا) أحد الأشخاص ، وهو يأتى مهرولًا ليفتح البوابة أمام السيارة .. حيث سأله (سامح) قائلًا :
ـ أين كنت ؟
أجابه الرجل قائلًا :
ـ كنت أحضر لى كوبًا من الشاى .
ـ إن مكانك هو هنا أمام البوابة .. وأنت تتقاضى أجرًا من أجل ذلك ..
عندما تريد أن تشرب شايًا فاطلب من أى أحد أن يحضره لك .
قال له الرجل وهو يرفع يده محيِّيًا !
ـ آسف يا باشمهندس .
لكن يده سرعان ما تراخت بجواره عندما ألقى نظرة داخل السيارة .. ورأى (يسرا) جالسة إلى جوار (سامح) .

وسأله (سامح) قائلًا :

ـ هل الحاج (عبد الفضيل) مستيقظ أم نائم ؟

لكن الخفير لم يجبه .. فقد كان مشغولًا عنه بالتحديق فى الفتاة وهو فاغر فاه .

وصاح فيه (سامح) قائلًا :

ـ لماذا تبدو مشدوهًا هكذا ؟ لقد سألت : إذا كان الحاج مستيقظًا أم لا ؟

قال له الخفير وهو يعدل من وضع البندقية على كتفه :

ـ لا أعرف يابك .. إننى لم أذهب إلى المنزل منذ أن استلمتورديتى .

كان من الواضح أنه يملك شخصية قوية تفرض احترامها على الجميع .

وسرعان ما توقف بسيارته أمام باب المنزل الذى كانت بعض حجراته مضاءة قائلًا لها :

ـ تفضلى ..

قالت له حينما غادرت السيارة :

ـ إننى أشم رائحة عطرة هنا .

ـ نعم .. إن هذا من أثر الزهور الموجودة فى الحديقة المحيطة بالمنزل .

ـ من المؤسف أن المكان مظلم على نحو لا يجعلنى أراها جيدًا .. هل أنت الذى أشرفت على زراعتها ؟

قال لها وهو يفتح الباب .

ـ لقد شاركت فى ذلك .. هل تحبين زهر البنفسج ؟

ـ إنه زهرى المفضل .

ـ إذن .. فنحن متفقان فى ذلك .

ودعاها إلى الدخول حيث كانت الردهة مضاءة بمصباح خافت ، يرسل إشعاعه على المكان .

وأسرعت إحدى السيدات إلى الردهة ، وقد بدا أنها مستيقظة لتوها من النوم قائلة فى انزعاج :

ـ من .. من بالردهة ؟

أجابها (سامح) قائلًا :

ـ إنه أنا يا أم (إبراهيم) .

أضاءت السيدة أنوار الردهة لتغمر المكان قائلة :

ـ (سامح) بك !

وارتسمت الدهشة على ملامحها وهى تنظر لـ (يسرا) وفى عينيها تساؤل . وفضول قوى .

سألها (سامح) قائلًا :

ـ أين الحاج ؟

أجابته المرأة قائلة دون أن تتخلى عن فضولها :

ـ نام .. بعد صلاة العشاء .

ـ و (نجوى) ؟

أجابته قائلة .

ـ لقد نامت هى الأخرى .

ـ حسن .. أعدى بعض الطعام للآنسة .. واصحبيها إلى غرفة الضيوف فهى ستبيت الليلة لدينا .

وصاح فيها قائلًا عندما رآها لا تتحرك :

ـ لماذا أنت واقفة كالتمثال هكذا ؟ افعلى ما طلبته منك .

وتذكرت (يسرا) أنها لم تأكل شيئًا منذ الصباح .. كانت صدمتها فى موقف (صلاح) منها .. والتعب والإرهاق .. وخوفها من رفيقها فى السيارة . قد جعلها لا تشعر بذلك .

أما الآن وقد ذكر (سامح) الطعام أمامها .. فإنها أحست بجوع شديد وأنها تكاد تسقط من الإعياء لشدة جوعها .

سألها (سامح) قائلًا :

ـ أتفضلين أن تتناولى طعامك هنا .. أم فى حجرة الضيوف ؟

سألته قائلة فى حياء :

ـ ألن تتناول الطعام معى ؟

ـ نعم .. لقد كنت جائعًا للغاية .. فتناولت قطعة من الجبن وبعض ثمرات الطماطم لدى الميكانيكى الذى أحضرته لإصلاح السيارة ..

وتأملها برهة من الوقت .. وقد تبدلت نبرات صوته ؛ لتصبح أكثر حنوًا وهو يقول لها :

ـ أعتقد أنه من الأفضل أن تتناولى الطعام فى الحجرة .. حتى يمكنك أن تغتسلى أولًا وتكونى براحتك . بالمناسبة .. إن الحجرة مزودة بحمام .. وتستطيعين أن تأخذى دشًا لو أردت .

قالت له (يسرا) بامتنان :

ـ أشكرك .. هذا كرم بالغ .

نادى (سامح) على المرأة .. فأتت إليه مهرولة .. وهى زائغة العينين بينه وبين (يسرا) .. التى أدهشها حضورها معه فى هذه الساعة .

قال لها (سامح) :

ـ ماذا تفعلين ؟

أجابته المرأة قائلة :

ـ أعد الطعام للهانم .

ـ اصحبيها إلى حجرة الضيوف أولًا .. وانتظرى قليلًا

حتى تغتسل .. ثم احملى لها صينية الطعام إلى الحجرة .
بدا شديد الاهتمام بها .. وقد عاد ليسأل المرأة قائلًا :
ـ إن حجرة الضيوف نظيفة ومرتبة .. أليس كذلك ؟
أجابته المرأة قائلًا :
ـ بلى .. أنا أتولى تنظيفها بنفسى كل يوم .
ـ حسن .. اصحبى الآنسة (يسرا) إليها .
ثم غادر الردهة وانصرف دون أن يعقب بشىء .
ودت لو تشكره مرة أخرى ، لكنه لم يمنحها الفرصة لذلك .
وبقيت واجمة للحظة أحست بتأثير غيابه عنها .. وقد خلف وراءه فراغًا كبيرًا .
قالت لها المرأة .. وهى تشير إلى السلم الخشبى المؤدى إلى الدور العلوى :
ـ تفضلى يا هانم .
وتقدمتها إلى السلم تتبعها (يسرا) .. حيث قادتها إلى الحجرة المخصصة لاستضافة الضيوف .
كانت غرفة فسيحة ونظيفة ومرتبة على نحو جيد .
وبالنسبة لها .. وفى ظل الظروف التى مرت بها طوال اليوم .. وما حل بها من تعب وإرهاق .. فقد كانت هذه

الغرفة تبدو كما لو كانت جناحًا فاخرًا فى أرقى فنادق العالم .
وأشارت لها المرأة على أحد الأبواب المغلقة داخل الحجرة قائلة :
ـ هذا هو الحمام .. إنه مزود بماء دافئ لو أردت أن تستحمى .
ابتسمت (يسرا) قائلة :
ـ أشكرك يا أم (إبراهيم) .. إننى احتاج بالفعل إلى حمام دافئ فى هذه اللحظة .
قالت لها المرأة وهى تقاوم فضولها ورغبتها فى سؤالها عن قصتها ، وعن سر اصطحاب (سامح) لها إلى المنزل :
ـ ريثما تنتهين من استحمامك ، أكون قد أعددت لك الطعام .
انتظرت (يسرا) برهة بعد مغادرة المرأة الحجرة .. واندفعت لتنعم بحمام دافئ يزيح عنها كل متاعب اليوم .
ولكن بينما هى تستقبل الماء الدافئ فوق جسدها لتزيح به إرهاق السفر وتراب الطريق .. كانت تعرف أن ماء العالم كله لا يمكن أن يزيح عنها آلام نفسها .. التى كانت أقسى بكثير من متاعب الجسد .

★ ★ ★

٥ ـ الضيفة الغامضة ..

غادرت الحمام منتعشة .. حيث وقفت تمشط شعرها .. ثم ألقت بنفسها فوق الفراش الوثير ..

كانت متعبة للغاية .. وبدأ دفء الفراش يسرى فى جسدها على نحو كاد يسلمها للنوم سريعًا .. لولا ذلك الجوع القارص الذى ينهش أمعاءها الخاوية .

وبالفعل لم تقو على المقاومة كثيرًا .. فبدأ جفناها يستسلمان للنعاس . ثم مالبثت أن غطت فى نوم عميق .

وعندما حضرت أم (إبراهيم) وهى تحمل صينية الطعام ؛ وجدت أن من العسير عليها أن توقظها من النوم .. فقد بقيت واقعة تحت سلطانه تمامًا .

غادر (سامح) حجرته متوجهًا إلى حجرة المكتبة ، حيث التقى بأم (إبراهيم) وهى تهبط درجات السلم فسألها قائلًا :

ـ هل تناولت العشاء ؟

أجابته المرأة قائلة :

ـ لقد وجدتها مستغرقة فى النوم .. وحاولت أن أجعلها تستقيظ كى تتناول طعامها .. لكنها أبت ذلك .

ـ حسن .. أعتقد أنها بحاجة للنوم أكثر من أى شىء آخر .. لا توقظيها حتى تستيقظ بنفسها .

ـ حسن .. يا بك ...

ووقفت أم (إبراهيم) أمامه مترددة برهة من الوقت .. وقد بدا أنها تهم بسؤاله عن شىء ما .

نظر إليها بعينين فاحصتين قائلًا :

ـ هل تريدين أن تقولى شيئًا ؟

ـ لقد كنت أتساءل .. ماذا أقول للحاج (عبد الفضيل) لو سألنى .. أقصد لو رأى تلك الفتاة غدًا ؟ أو سأل عمن يشغل حجرة الضيوف .

ابتسم (سامح) قائلًا :

ـ ماذا تقولين للحاج (عبد الفضيل) ؟ أم أنك تريدين إشباع فضولك ؟

حسن .. هذه الفتاة كانت عائدة إلى القاهرة وتأخرت فى السفر ولما كان الوقت ليلًا .. ولا أحبذ سفر فتاة مثلها فى مثل هذا الوقت ؛ فقد عرضت عليها أن تمضى الليلة فى منزلنا وتسافر صباحًا .

هل أراحك هذا .. أم أن لديك المزيد من الأسئلــة والاستفسارات ؟

ـ ولماذا لم تبت لدى من كانت لديهم ؟ بل لماذا سمحوا لها بالسفر فى مثل هذا الوقت المتأخر من الليل ؟

ـ لن أجيبك على هذا .. اذهبى وأعدى لى فنجان شاى .. ثم آوى إلى فراشك ولا تزعجينى بأسئلتك هذه .

ـ هل ستقرأ هذه الليلة ؟

ـ نعم .. أحضرى لى الشاى فى حجرة المكتب .

ـ ولكن ألست متعبًا من السفر ؟

ـ أنت تعرفين أننى لا أستطيع النوم قبل أن أطالع أحد الكتب .. هيا أحضرى الشاى وتوقفى عن ثرثرتك هذه .

وتناول (سامح) أحد الكتب من فوق أرفف المكتبة .. وجلس ليطالعه .

لكنه وجد نفسه عاجزًا عن التركيز فيما يقرأ ، كما اعتاد أن يفعل كل ليلة .

كانت صورتها ماثلة أمامه فوق صفحات الكتاب .

وأخذ يسترجع ملامحها الدقيقة ، ووجهها الجميل الذى يضاهى فى جماله الزهرة المتفتحة .

إنه لا يستطيع أن ينكر أن هذه الفتاة قد أحدثت فى نفسه

أثرًا ما . لكنه لا يستطيع أن يفهم سر هذه النظرة الحزينة التى رآها فى عينيها . لقد بدت وكأنها تخفى فى نفسها آثار جرح عميق .

وأغمض عينية .. ثم أعاد الكتاب إلى مكانـه قائـلًا لنفسه :

ـ ربما أكون مبالغًا فيما أتخيله عنها .

وقرر أن ينحيها عن عقله ويركز تفكيره فيما يقرأ .. ونجح هذه المرة فى ذلك .

★ ★ ★

استيقظ (سامح) مبكرًا ليجد والده وأخته جالسين أمام مائدة الفطور فى انتظاره .

وحياهما قائلًا :

ـ صباح الخير يا حاج .. صباح الخير يا (نجوى) .

سأله أبوه قائلًا :

ـ ما الذى أخرك هكذا بالأمس ؟

ابتسم (سامح) قائلًا وهو يجلس إلى مقعده :

ـ ألا نتناول فطورنا أولًا ؟

تحدثت إليه أم (إبراهيم) وهى تضع الخبز أمامهم قائلة :

- إن الهانم لم تصح من نومها بعد .

قال الأب بدهشة :

- هانم ؟.. أية هانم ؟

ارتبك (سامح) وهو ينظر إلى أم (إبراهيم) بامتعاض قائلًا :

- قلت لك دعيها نائمة حتى تستيقظ بنفسها .

صاح الأب قائلًا :

- حدثنى أنا .. من هذه الهانم التى تتحدث عنها أم (إبراهيم) ؟

- عندما عدت من بلدة (بحطيط) بالأمس .. وجدت فتاة تقف فى انتظار سيارة ميكروباص تنقلها إلى محطة القطار .

ولما كانت السيارات التى تقوم بنقل الركاب لا تمر فى هذا الوقت من البلدة إلى المحطة .. فقد تطوعت لنقلها بنفسى .

لكن السيارة أصيبت بعطب فى الطريق .. مما اضطرنى إلى البحث عن ميكانيكى .. والانتظار حتى أنتهى من إصلاحها .

وكان من الصعب أن تسافر فى وقت متأخر كهذا إلى القاهرة خاصة بعد أن غادر آخر قطار المحطة .. ولم يعد متبقيًا سوى سيارات الأجرة .

وأنت تعرف مخاطر السفر فى مثل هذا الوقت بالنسبة لفتاة بمفردها .. لذا أحضرتها إلى منزلنا وجعلتها تبيت ليلتها فى غرفة الضيوف . هذا هو كل ما حدث . وهذا سبب تأخيرى بالأمس .

قال له الأب بعد برهة من الصمت :

- ولماذا لم توقظنى لدى حضورك ؟

- لم أشأ أن أزعجك .

- حسن .. أعتقد أنك قد فعلت الصواب .. فلم يكن من اللائق أن تتركها تسافر بمفردها بالفعل فى هذا الوقت المتأخر . ولكن ماذا عن أهلها ؟ ألن يقلقوا لعدم عودتها بالأمس ؟

- عندما تستيقظ .. عليها أن تدبر ذلك بنفسها .

ابتسمت (نجوى) قائلة :

- إذن لدينا فتاة فى حجرة الضيوف .. هل هى جميلة .

صاح الأب فى ابنته قائلًا :

- بنت !.. ما شأننا نحن إذا كانت جميلة أو غير جميلة .

لكن (سامح) ابتسم قائلًا لأخته دون أن يأبه لاعتراض الأب :

- نعم .. إنها جميلة للغاية .

قال الأب بخشونة مصطنعة :

- (سامح) إنك بذلك تعطينى إيحاء غير طيب عنك .

ابتسم (سامح) لأبيه قائلًا :

- لماذا ؟ لقد سألت (نجوى) عما إذا كانت الفتاة جميلة أم لا .. فأخبرتها بالحقيقة .

سألته أخته قائلة :

- ما اسمها ؟

- (يسرا) .

والتفت إلى أم (إبراهيم) التى كانت واقفة على مقربة منهم تستمع إلى الحديث بفضول قائلًا :

- هل استرحت وأشبعت فضولك .

ثم التفت إلى أبيه وأخته قائلًا لهما :

- أعتقد أننا نستطيع أن نتناول فطورنا الآن .

سأله الأب وهو يتناول طعامه قائلًا :

- وما قصة هذه الفتاة ؟

- لم أحاول أن أعرف عنها الكثير .. بل فى الحقيقة هى لم ترو عن نفسها الكثير .. كل ما أعرفه أنها كانت فى زيارة لمنزل الحاج (إبراهيم السويفى) .. وأنها كانت زميلة ابنه (صلاح) فى الكلية .

- الحاج (إبراهيم) .. وما علاقتها به ؟

- لقد قلت لحضرتك إنها كانت زميلة ابنه (صلاح) .. وجاءت لزيارته .

- وهل يكفى أن تكون زميلة لابنه فى الجامعة ؛ لكى تأتى لزيارته ؟ لابد أنه نربطها بهم صلة قرابة .

- أشك فى ذلك .. فلو كانت قريبة لهم لما سمحوا لها بالسفر بمفردها فى وقت متأخر كهذا ..

قال (نجوى) :

- إذن .. فهى مهندسة زراعية مثلك .

قال (سامح) فى ضجر :

- نعم .. ولكن ألا يمكننا التحدث فى شىء آخر ؟

★ ★ ★

وفى أثناء ذلك ، كانت الشمس قد بدأت تعكس أشعتها داخل الحجرة التى تنام فيها (يسرا) من خلال الستائر

الخفيفة المسدلة فوق النوافذ .. ليسقط الضوء على وجهها .

كانت تشعر بالرغبة فى المزيد من النوم بعد التعب الشديد الذى صادفها ليلة أمس .. لكنها قاومت هذه الرغبة وهى تشعر بأن هناك دافعا يدفعها إلى الاستيقاظ .

وتثاءبت وهى تلقى نظرة فيما حولها بعد أن فتحت عينيها بصعوبة .

ثم ما لبثت أن هبت مذعورة وهى تستوى جالسة فوق الفراش ، وقد بدت لأول وهلة وكأنها قد نسيت كل ما مر بها بالأمس .

فتساءلت قائلة :

ـ أين أنا ؟ وماذا أفعل فى هذا الفراش ؟

واستقيظت حواسها على أثر استيقاظ جسدها .. فاستعادت أحداث الليلة الماضية قائلة لنفسها :

ـ آه .. تذكرت .. ذلك الشاب الذى اصطحبنى إلى منزله .. وسيارته المعطلة .

وأمسكت برأسها وقد أحست بصداع قائلة :

ـ يا لها من ليلة !

ثم نظرت إلى ساعتها وهى تهتف قائلة :

ـ العاشرة صباحًا ! لقد نمت عددًا طويلًا من الساعات .

أرادت أن تغادر الفراش .. لكنها أحست بأن جسدها لا يطاوعها على ذلك .. وأنها مازالت فى حالة استرخاء شديد .

وتذكرت الحلم الذى رأته فى نومها ..

كان حلمًا غريبًا .. لقد رأت نفسها تغوص فى رمال متحركة .. وتبحث عن أى شىء ؛ لتتعلق به مِحاولة إنقاذ نفسها دون جدوى .

وفجأة أتى ذلك الشاب الذى أحضرها إلى منزله بالأمس ، ومد لها يده قائلًا لها بصوت رخيم ونبرة أعادت الاطمئنان إلى نفسها :

ـ لا تخافى .. لقد جئت لأنقذك .

وتعلقت بيده .. فقام بجذبها من الرمال الناعمة بقوة وصلابة ، حتى نجح فى انتشالها منها .

وابتسمت لنفسها وهى مازالت ناعسة قائلة :

ـ لابد أن ذلك الحلم كان تعبيرًا عن مساعدته لى ليلة أمس .

فى الحقيقة لقد تصرفت معه بوقاحة .. أما هو فكان مثالًا للنبل والشهامة . لكنه مع ذلك يبدو فظًا أحيانا .

وتساءلت قائلة لنفسها :

ـ ما اسمه ؟

وسرعان ما تذكرت قائلة :

ـ آه !. (سامح) .. لقد تذكرت .

وفى تلك اللحظة دخلت عليها أم (إبراهيم) الحجرة قائلة :

ـ هل استيقظت حضرتك ؟

ـ نعم .. يبدو أننى قد تأخرت فى النوم .

قالت لها المرأة بحنو :

ـ نومًا هنيئًا .. لقد أحضرت لك طعام العشاء بالأمس .. لكن وجدتك مستغرقة فى النوم .. فلم أرد أن أوقظك .

لابد أنك تشعرين بالجوع .

ـ لا أستيطيع أن أنكر ذلك .

ـ سأعد لك الطعام .. ريثما تنتهين من حمامك .

استقبلها (سامح) بعد انتهائها من تناول طعامها قائلًا :

ـ أرجو أن تكونى قد نمت جيدًا .

ابتسمت (يسرا) قائلة :

ـ لقد استغرقت فى نوم عميق بمجرد أن وضعت رأسى على الوسادة .. آسفة لأننى تأخرت فى الاستيقاظ حتى الآن .

ـ لقد كنت بحاجة إلى هذا النوم العميق .. وقد نبهت بألا يوقظك أحد .. قبل أن تستيقظى بنفسك .

ـ أشكرك على كل هذا الاهتمام .. وعلى كل ما قدمته لى .

ـ إننى لم أفعل سوى الواجب .

وكان أبوه وأخته قد لحقا به .. فقدمهما إليها قائلًا :

ـ تعالى لأعرفك بأبى وأختى .. ها هو ذا أبى الحاج (عبد الفضيل) صاحب هذه المزرعة .. وأختى (نجوى) التى حدثتك عنها .

ثم أشار إليها قائلًا :

ـ الباشمهندسة (يسرا) .

وصافحها الأب قائلًا :

ـ أهلًا بك يابنيتى .. لقد شرفت منزلنا .

ـ أشكرك .

صافحتها (نجوى) وهى ترنو إليها بإعجاب قائلة :

ـ أهلًا بك يا (يسرا) .

ـ أهلًا آنسة (نجوى) .
واصطحبها الأب إلى الشرفة قائلًا :
ـ لقد روى لى (سامح) ما تعرضت له من متاعب بالأمس .
ـ فى الحقيقة لولا أنى التقيت به .. فلا أدرى ما الذى كان يمكننى أن أفعله ؟
ـ لقد فعل (سامح) ما كان يتعين عليه أن يفعله .
قال (سامح) وهو ينظر إليها نظرة ذات مغزى .
ـ لقد قدمت لى خالص الشكر والامتنان الذى أستحقه بالأمس .
أحست (يسرا) بالخجل من نفسها ، وهى تستمع إلى تلميحاته .
بينما أردف الأب قائلًا :
ـ ولكن .. قولى لى .. هل أنت على صلة قرابة بالحاج (إبراهيم السويفى) ؟
وتلعثمت (يسرا) فى الإجابة قائلة :
ـ كلا .. إننى .. إننى .. زميلة لابنه (صلاح) .. وقد ذهبت لتهنئته على زواجه من ابنة عمه .
ـ لكن هذه تهنئة متأخرة .. فقد مضى على زواجهما

حوالى شهر ونصف تقريبًا حسب ما علمت .
ـ لم تتح لى الفرصة لتهنئته من قبل .
ـ ولكن كيف سمحوا لك بمغادرة منزلهم فى هذا الوقت المتأخر ؟ وبدون أن يكلف أحدهم خاطره ليوصلك إلى المحطة ؟
أثار هذا الحديث شجونها .. وودت لو توقفوا عن الاستمرار فيه ، فقالت سريعًا :
ـ أنا الذى أصررت على الرحيل فى هذه الليلة .. ولم أرغب فى أن يصحبنى أحد .
سألها (سامح) :
ـ لمـاذا ؟
صمتت دون أن تقول شيئًا .. فى حين قال الأب لابنه :
ـ ربما كان للفتاة دوافعها الشخصية فى ذلك .. فلا تلح عليها بالسؤال .
سألت (نجوى) :
ـ ولكن .. ألم يقلق عليك والدك ووالدتك لعدم عودتك بالأمس ؟
ـ والدى متوفى .. ووالدتى كانت تظن أننى سأقضى بضعة أيام فى ضيافة أسرة الحاج (إبراهيم) .

ونهضت (يسرا) قائلة :

ـ أعتقد أنه يتعين علىّ أن أنصرف الآن .. وأشكركم جميعًا على ضيافتكم الكريمة .

سألها الحاج (عبد الفضيل) :

ـ لماذا لا تبقين يومًا أو اثنين فى ضيافتنا بالمزرعة ؟!

★ ★ ★



٦ ـ حذار من الحب ..

قالت له (يسرا) :

ـ إن هذا كرم بالغ .. لكنى أعتقد أننى لن أستطيع ذلك .

قال الأب :

ـ لماذا ؟ لقد قلت بنفسك : إن والدتك تعرف أنك ستقضين بضعة أيام فى ضيافة الحاج (إبراهيم) .. وهذا يعنى أنها لن تقلق عليك لو غبت عنها يومًا أو اثنين .

وعلى كل حال .. فلدينا هنا خط هاتفى مباشر وتستطيعين أن تطمأنيها بالهاتف لو أردت .. لو كان لديك فى منزلك تليفون ..

سارعت (نجوى) لتقول لها :

ـ سأكون سعيدة .. لو وافقت .. فأنا أقيم هنا بمفردى وأشعر بوحدة شديدة لعدم وجود صديقة لى تؤنس وحدتى .. وقد أحببتك منذ أن رأيتك .

ـ أشكرك لهذا الشعور .. ولكن أنا مرتبطة بعملى فى القاهرة .

ـ أرجو يا (يسرا) .. يومًا أو اثنين لن يجعلاك تتأخرين

كثيرًا عن عملك .. فلا بد أنك حصلت على إجازة ما دمت كنت تنوين قضاء بضعة أيام فى منزل الحاج (إبراهيم) .

وفكرت (يسرا) .. أنها لم تتخلص من آثار الصدمة النفسية التى عانتها بعد لقائها الأخير بـ (صلاح) .. برغم أنها تُحاول التظاهر بعكس ذلك .

ولابد أن عودتها الآن إلى القاهرة ، وانفرادها بنفسها ، خاصة وهى لا تستطيع أن تقطع الإجازة الآن حتى لا تثير الأقاويل .. بعد أن علمت بعض زميلاتها أنها فى طريقها لمقابلة (صلاح) سيوقظ لديها تلك الصدمة وما يترتب عليها من آثار .

ومن الأفضل لديها أن تحاول أن تتناسى ما حدث لها بالأمس .. وأن تتغلب على صدمتها العاطفية .

وربما كان فى وجودها لدى هؤلاء الأشخاص الذين أكرموا ضيافتها ، وفى جو مختلف بعيد عن منزلها ما يساعدها على التخلص من بعض الآثار النفسية الأليمة الناجمة عن صدمتها .

لذا قالت لهم :

ـ حسن .. أعتقد أنه يمكننى قضاء يومين آخرين هنا .

صفقت (نجوى) بيدها كطفلة صغيرة :

ـ إننى سعيدة لذلك .

وكذلك ابتسم الأب قائلًا :

ـ ستكونين هنا على الرحب والسعة .

أما (سامح) فقد بدا غير مستريح لذلك .. وإن حاول أن يرسم على وجهه ابتسامة باهتة تعبر تعبيرًا زائفًا عن سروره لذلك .

★ ★ ★

سألتها (نجوى) قائلة :

ـ ما رأيك لو قمنا بجولة صغيرة فى المزرعة ؟. أعتقد أنها ستعجبك .

ـ لا بأس بذلك .. سأبدل ثوبى وآتى معك .

فتحت (يسرا) حقيبتها وتأملت فستانها الوردى .. وقد اعترتها مسحة من الحزن .

لقد ابتاعت هذا الثوب قبل سفرها بيومين فقط .. وكانت تظن أنه سينال إعجاب (صلاح) فيما لو كان قد قدر لها البقاء فى ضيافته .

وطالما تخيلت نظرة الإعجاب فى عينية ، وهو يتأملها تتهادى أمامه بهذا الثوب .. فهى تعرف أنه يحب اللون الوردى كثيرًا .

لقد كلفها هذا الثوب ثمنًا باهظًا أطاح بميزانيتها .. لكنها كانت ترى أن نظرة الإعجاب فى عينى الإنسان الذى أحبته تساوى أن تدفع هذا الثمن .

وها هى ذى أمنيتها قد ذهبت مع الرياح .. كما تبددت معها أمانٍ أخرى .. وتنهدت وهى تعيد الثوب إلى مكانه لترتدى بلوزة خضراء ، وبنطلونًا من القطيفة السوداء .

وأسرعت بإغلاق الحقيبة ، وإعادتها إلى الدولاب .. قبل أن تنزلق إلى المزيد من التفكير .. والحزن .. فبقاؤها هنا جزء من محاولتها الهرب .. ودفع نوبة الأحزان بعيدًا عنها .

وهبطت فى السلم حيث استقبلتها (نجوى) بصفير عال قائلة :

ـ ما كل هذه الفتنة والجمال ؟

كان (سامح) يمر بالمصادفة وأتيح له أن يراها .. فلم يستطع أن يمنع نفسه من التحديق بها .

إنه يراها تزداد جمالًا فى كل مرة تقع عيناه عليها عن ذى قبل . ولمحته وهو يحدق بها .. فسارع بخفض بصره .. واندفع مواصلًا طريقه نحو إحدى الحجرات .

بينما ابتسمت (يسرا) قائلة لـ (نجوى) :

ـ إنك تبالغين فى مدحى .

ـ ليس فيما أقوله أدنى مبالغة .. فلو كنت رجلًا ما تركتك تفلتين من يدى .

هيا بنا لنقوم بجولتنا حول المزرعة .

ـ إن لديكم هنا حديقة رائعة .

ـ هل رأيتيها ؟

ـ نعم .. لقد ألقيت عليها نظرة من نافذة الحجرة .. وإن كنت قد أحسست بشذاها بالأمس قبل أن أراها .

ـ لقد ساهم (سامح) فى العناية بها .. بالطبع كلا كما يقدر قيمة ذلك . لأن هذا تخصصكم .

ـ إننى متخصصة فى البساتين وزراعة الموالح .. برغم أن عملى فى وزراة الزراعة فى مركز البحوث لا يتفق تمامًا مع تخصصى .

ـ حقًا .. إذن فستبدين رأيك بشأن حدائق الموالح التى نزرعها هنا .

ـ ألديكم هنا حديقة موالح ؟

ـ إن هذا هو الإنتاج الرئيسى الذى تعتمد عليه المزرعة .. سترين ذلك بنفسك .

وفى تلك اللحظة غادر الحاج (عبد الفضيل) إحدى

الحجرات متجهًا إلى حجرة المكتبة حيث التقى بابنته و (يسرا) .. فابتسم لهما قائلًا :

ـ أرجو أن تحسنى ضيافة (يسرا) يا (نجوى) .

ـ إننا سنقوم بجولة فى المزرعة .

ـ حسن .. أرجو لكما وقتًا طيبًا .

واستدركت (نجوى) قائلة :

ـ أبى .. هل تعرف أن (يسرا) متخصصة فى زراعة الموالح ؟

قال الأب وهو ينظر إلى (يسرا) :

ـ حقًا ؟

ـ ليس هذا بالضبط .. ولكن ذلك كان مجال تخصصى فى الكلية .

ـ إذن يسعدنى أن ألتقى بك بعد قيامك بهذه الجولة .. وزيارة حدائق الموالح .. فأنا أريد أن أحصل على رأيك بشأنها .

كان (سامح) قد غادر حجرته بدوره .. حيث استمع إلى هذا الحديث الذى يدور بين الأب وبين (يسرا) .. وبدا متجهمًا قليلًا وهو يقول لأخته :

ـ لا تبتعدا كثيرًا .

ألقت عليه (يسرا) نظرة سريعة .. وهى تتساءل عن سر تجهمه .. لكنها وجدت نفسها تتمنى لو أنه رافقهما فى هذه الجولة .

وتحول (سامح) إلى أبيه بعد انصرافهما قائلًا :

ـ ما الداعى لذلك ؟

نظر إليه الأب قائلًا :

ـ لا أدرى عما تتحدث .

ـ بل تعرف عما أتحدث .. لم تعد بحاجة لرأى أحد بخصوص حدائق الموالح .. لأننا سنبيع هذه المزرعة .. لقد وعدتنى بذلك .

قال له الأب وهو يوليه ظهره :

ـ أنا لم أعدك بشىء .. أنت الذى ظللت تلح علىّ طوال الأشهر الماضية بشأن البيع .. وقلت لك فى النهاية : إننى سأفكر فى هذا الأمر .

ـ أبى .. إن المشروع التجارى الذى حدثتك عنه .. سيجلب لنا أرباحًا، تفوق ما تحصل عليه من هذه المزرعة .

إننا فى عصر المشاريع التجارية الناجحة .. وليست تلك المزارع التى لا تكاد تغطى نفقاتها .

قال له الأب محاولًا إنهاء المناقشة فى هذا الشأن .
ـ حسن .. حسن .. دعنا لا نتحدث فى هذا الأمر الآن .. فأنا لست مهيأ لمناقشته مرة أخرى .
ـ لكنك لم تعطنى رأيًا قاطعًا .
ـ عندما أصل لقرار سأعطيك رأيى .
بدت ملامح النقمة على وجه (سامح) وهو يحاول أن يستشف ما يدور فى رأس أبيه العنيد .. لكنه وجد أنه لا سبيل لذلك . وهمّ بمغادرة المكان .. لكن الأب استوقفه قائلًا :
ـ انتظر ..
واستطرد قائلًا :
ـ لماذا لا ترحب ببقاء هذه الفتاة فى ضيافتنا ؟
ـ ما الذى يدعوك لمثل هذا القول ؟
ـ هذا ما رأيته واضحًا على وجهك .. لقد بدوت غير مرحب بدعوتى لها للإقامة فى ضيافتنا خلال اليومين القادمين .. برغم أنك أنت الذى أحضرتها إلى هنا .
ـ لأننى أعتقد أننا قد قمنا بواجبنا نحوها على أكمل وجه ليلة أمس .. ولم نعد ملزمين بتقديم المزيد من الكرم نحوها .

ثم إننا لا نعرف هذه الفتاة معرفة حقيقية .. حتى نجعلها تختلط بـ (نجوى) وتصادقها على هذا النحو .
حدجه الأب بنظرة فاحصة قائلًا :
ـ هل أنت واثق أن هذا هو السبب الحقيقى وراء رفضك لبقاء هذه الفتاة فى ضيافتنا ؟
ـ نعم .. وماذا يكون غير ذلك ؟. كان يتعين علينا أن نكتفى بما فعلناه معها بالأمس وأن نتركها تستأنف سفرها .
ـ على كل حال .. لقد وجهنا لها الدعوة .. ولا يمكننا أن نتراجع الآن .
ثم أردف قائلًا :
ـ وأنا أنتظر منك أن تتعامل معها على نحو لائق .. وبما يتفق مع موقفك الشهم بالأمس .. إنها على كل حال لن تبقى لدينا طويلًا .
وغادر (سامح) المكان دون أن يخبر أباه عن السبب الحقيقى الذى جعله يشعر بالقلق إزاء هذه الاستضافة .
لقد بدأت هذه الفتاة تستحوذ على اهتمامه .. وتحرك شعورًا خفيًا بداخله نحوها .
شعورًا لا يريد له أن ينمو أكثر من ذلك .. بل من الأفضل أن يئده فى مهده .

فهو لا يريد أية ارتباطات عاطفية فى المرحلة الحالية .. بل فى أى مرحلة من مراحل حياته .

لقد عاش هذا النوع من المشاعر فى إحدى فترات حياته .. ولا يزال يذكر تلك الفتاة التى أحبها وتخلت عنه .

كانت تلك هى أسوأ فترات حياته وأقساها .. أهمل دراسته واستسلم لحالة مخزية من الضعف والألم ، كادت أن تعصف به وبمستقبله .

ومن يومها قرر أن ينحى مثل هذه المشاعر بعيدًا عن حياته . وأن يبقى دائمًا مالكًا لزمام قلبه .. جاعلًا عقله هو الحاكم الآمر فى كل ما يتعلق بشئونه .

لقد استطاع أن يتغلب على تجربته المريرة .. ولم يسمح لها قط أن تهدم حياته .. وأن تؤثر فى مصيره .

لم يطرد المرأة تمامًا من حياته .. وإنما عرف الكثير من الفتيات ، وكانت له العديد من العلاقات فيما بعد .. لكنها كانت دائمًا علاقات عابرة .. وعلى سبيل اللهو والتسلية .

لم يسمح لنفسه أن يقع تحت تأثير جاذبية فتاة مهما كان جمالها ، وقوة تأثيرها الأنثوى .

وحتى عندما يفكر فى الزواج فى المستقبل .. فإن

الزوجة المنتظرة ستخضع لاختيار عقلانى بحت .. ومواصفات لا تتدخل فيها المشاعر والأحاسيس التى علمته التجربة : كم هى خادعة .

لذا فعندما راودته بعض هذه المشاعر عندما التقى بـ (يسرا) ، وأحس أنه يكاد أن ينزلق نحو إعجاب قوى بها . فإنه شعر بالخطر وأدرك أنه يتعين عليه أن يتخلص من هذه الفتاة ، قبل أن تتنامى هذه المشاعر .

ولم يشعر بارتياح للدعوة التى وجهها أبوه لها .. لكى تبقى فى ضيافتهم ..

وهز كتفيه قائلًا لنفسه وكأنه يحاول أن يطمئنها :

- أن الأمر لن يزيد عن يومين على كل حال .. ثم إننى قد أكون مبالغًا فى مخاوفى .. فالفتاة لن تلتهمنى .

ولا ضرر من وجود فتاة جميلة فى هذا المكان الجاف لمدة يومين .

★ ★ ★

ألقت (يسرا) نظرة على حدائق البرتقال واليوسفى وهى تهتف قائلة :

- إن لديكم حدائق فسيحة هنا .

قالت (نجوى) :

ـ ومع ذلك .. فإن (سامح) يسعى لبيع المزرعة .

نظرت إليها (يسرا) بدهشة قائلة :

ـ بيعها ؟

ـ نعم .. إننى أحب هذا المكان .. وأجد سعادة حقيقية فى الإقامة هنا بعكس (سامح) .. فهو يلح على أبى دائمًا من أجل بيع المزرعة بكل محتوياتها ، وإقامة مشروع تجارى فى القاهرة .. يدر دخلًا ، سنويًا أكبر .

ـ لكنه مهندس زراعى .. وكان يتعين عليه أن يكون أول المعارضين لفكرة كهذه لامحرضًا عليها .. ثم إن ما رأيته فى هذه المزرعة يستحق الإبقاء عليه بالفعل .

مزرعة الماشية والدواجن ، ومنحل العسل ، وحدائق الموالح . إن لديكم هنا مشروعًا زراعيًا متكاملًا .

ـ ولا تنسى هذه الفيلا الجميلة التى نقيم فيها .. والتى قضيت فيها أجمل أيام طفولتى .. فتيات كثيرات يفضلن الإقامة فى القاهرة وتستهويهن إغراءات المدينة .. أما أنا فأفضل البقاء فى هذه المزرعة الجميلة عن أى مكان آخر .

ـ ولكنى أظن أن مزرعة كهذه تحقق عائدًا ماديًا لا بأس به .. إلا إذا كان ذلك المشروع التجارى الذى يرغب أخوك فى إقامته يحقق عائدًا ماديًا كبيرًا .

ـ إن (سامح) ليست لديه أية خبرة فى المشاريع التجارية .. وهو مندفع فى هذا الأمر تحت تأثير رغبته الشديدة فى مغادرة هذه القرية .. فهو بعكسى لا يفضل الإقامة فى هذا المكان .. وتستهويه فكرة الإقامة بصفة دائمة فى القاهرة .. والمشروعات التجارية المربحة .

ـ وهل يوافقه أبوك على ذلك ؟

ـ فى الحقيقة لا أخفى عليك أن أرباح المزرعة تتناقص عامًا بعد آخر بسبب الآفات التى تصيب الثمار وتقلل من إنتاجية الحدائق .

وإذا استمر الحال على هذا المنوال .. فسوف ينتهى بنا الأمر إلى خسائر متتالية .. وهو ما جعل أبى لا يرفض فكرة البيع .. برغم حبه الشديد لهذه المزرعة التى نماها بكده وعرقه .

ـ هل تسمحين لى بفحص بعض ثمار البرتقال واليوسفى ؟

ـ بالطبع .. تفضلى .

★ ★ ★

٧ ـ أمل جـديد ..

استقبلها الأب قائلًا وابتسامة ود على وجهه :
ـ أرجو أن تكون المزرعة قد أعجبتك .
قالت (يسرا) :
ـ إنها مزرعة نموذجية ومتكاملة .
وقالت (نجوى) :
ـ لقد قضينا وقتًا ممتعًا معًا .
ابتسم الحاج (عبد الفضيل) قائلًا لـ (يسرا) :
ـ يبدو أنك اكتسبت صداقة قوية هنا .
ـ يسعدنى أن تكون لى صديقة مثل (نجوى) .
قالت (نجوى) :
ـ بل أنا التى سعدت بصداقتك وآمل أن تقضى معنا وقتًا أطول . فاكتساب الصديقات صعب للغاية فى هذا المكان .
ثم استطردت قائلة :
ـ سأصعد إلى غرفتى لأبدل ثيابى .. هل تأتين معى يا (يسرا) ؟
ـ اسبقينى أنت ، وسألحق بك .

سألها الحاج (عبد الفضيل) قائلًا :
ـ هل ترغبين فى تناول الشاى معى ؟
ـ إننى أتوق لذلك .
ـ إذن تعالى لنجلس معًا فى الشرفة ، وسوف تأتى لنا أم (إبراهيم) بالشاى .
ألقت (يسرا) نظرة حولها .. وهى تبحث عن (سامح) .. لكنها لم تعثر له على أثر .. وتساءلت قائلة لنفسها :
ـ ترى أين ذهب ؟ ولماذا كان يبدو متجهمًا على هذا النحو صباح اليوم ؟
دعاها الحاج (عبد الفضيل) للجلوس فى موقع يطل على الحديقة ، التى يفوح شذا عبيرها فى أرجاء المكان .
وأحست (يسرا) بانتعاش وراحة إزاء هذا المشهد الجميل والعبير الفواح .
قالت وهى تحت تأثير سحر المكان :
ـ يا له من مشهد رائع !
ابتسم الأب قائلًا :
ـ إنه مكانى المفضل .. فهذا أفضل مكان فى الحديقة المحيطة بالمنزل .

ـ كيف تفرط فى مكان رائع كهذا ؟

نظر إليها بدهشة قائلًا :

ـ أفرط فيه .. ماذا تعنين ؟

ـ لقد سمعت من (نجـوى) أنك ترغب فى بيـع المزرعة .

تنهد الأب وهو يتراجع فى مقعده قائلًا بتأثر :

ـ لو كان الأمر بيدى لما فكرت فى مثل هذا الأمر .. لكن المزرعة تنذر بخسائر لا قبل لى بتحملها .

فقيمة المحصول تقل .. والآفات توشك أن تفتك بالبرتقال واليوسفى ، كما أن الأمراض تهدد الماشية هنا .

و (سامح) يشجع فكرة بيع المزرعة ، وإقامة مشروع تجارى يقول : إنه سيحقق عائدًا ماديًا مربحًا .

ـ لو كان الأمر يعنى بالنسبة لك أرباحًا مادية فقط .. فمما لاشك فيه أن المشاريع التجارية المربحة كثيرة .

لكنى لا أظن أن مزرعة كهذه يمكن أن تحقق خسائر .. خاصة بعد كل ما شاهدته فيها .

فضلًا عن الارتباط بالمكان .. وأظن أن حضرتك و (نجوى) مرتبطان بهذا المكان ارتباطًا عاطفيًا قويًا حسب ما أرى .

ـ نعم .. لكن (سامح) يفضل الحياة بصفة دائمة فى القاهرة عن الإقامة هنا .. أما عن الخسائر فهى متوقعة كما قلت لك بسبب تناقص إنتاجية المحصول ،والآفات التى تهاجم الموالح هنا .. فضلًا عن أمراض الماشية التى كادت تتحول فى العام الماضى إلى أمراض وبائية لولا استعانتى بالأطباء البيطريين .

ـ هذه أشياء يمكن التغلب عليها .. فكما قلت : فإنه بالاستعانة بالأطباء البيطريين والمهندسين الزراعيين يمكن التصدى لمثل هذه الخسائر ، ومنعها من الوقوع .

ـ لقد استعنت بالمهندسيين الزراعيين .. فضلًا عن مساهمة (سامح) فى علاج هذه الآفات .. لكنهم لم يحرزوا نجاحًا كبيرًا .. ويبدو أن الأرض هنا لم تعد صالحة كما كانت من قبل .. كما تحدثوا عن بعض الأمراض التى تصيب أشجار البرتقال على نحو يهدد المحاصيل كل عام عن ذى قبل .

وصمت برهة وهو يقول بأسى :

ـ إننى أحب هذا المكان ، ولا أستطيع أن أنكر أننى لن أكون سعيدًا لو غادرته .. لكننى أيضًا لا أريد أن أخسر أموالى بسبب التمسك بهذه المزرعة والارتباط بها عاطفيًا .

سألته (يسرا) قائلة :

ـ وإذا استطعت التصدى للآفات المنتشرة فى هذه المحاصيل وتحقيق إنتاجية عالية لموالح هذا العام ؟

قال لها متشككًا :

ـ هل تستطيعين هذا حقًّا ؟

ـ نعم .

ابتسم قائلًا :

ـ إنك تتحدثين بلهجة واثقة .

ـ لقد فحصت بعض أشجار البرتقال واليوسفى هنا واكتشفت نوع الآفات التى تهددها .. وأظننى أستطيع معالجتها قبل أن تبدأ الثمار فى النضج .

ـ ولكن يا بنيتى .. لقد أكد لى (سامح) أن مقاومة الآفات لن تحقق نجاحًا فعالًا بعد أن تمكنت من الأشجار بصورة وبائية .. وهذا ما أكده لى مهندسون زراعيون أكفاء أيضًا .

ـ إننى لا أدرى كيف أكدوا لك ذلك .. فتلك الآفات يسهل مقاومتها ولم تتحول إلى خطر حقيقى يهدد المحاصيل .. وأنا لدى العلاج الناجع لذلك .

ـ هل أنت واثقة من ذلك ؟

ابتسمت قائلة :

ـ لا تنس أننى متخصصة فى زراعة الموالح .. فضلًا عن عملى فى قسم البحوث الزراعية فى وزارة الزراعة .. وهو ما يعنى أن العديد من الأبحاث والتجارب الخاصة بمقاومة الآفات الزراعية قد شاركت فيها .

وعلى كل حال يمكنك أن تجربنى .

ـ لو استطعت تحقيق ذلك فإنك ستكونين قد حققت لى خدمة لن أنساها طوال حياتى .

ـ وفى هذه الحالة لن تبيع المزرعة .

ـ بالطبع .

ـ هل لديك عدد كاف من العمال الزراعيين وأجهزة للرش هنا ؟

ـ لدى عدد لا بأس به .. وعلى كل حال يمكنك أن تحددى العدد الذى تحتاجينه ، وسأوفره لك على الفور .

ـ وسأحتاج بعض المواد الكيمائية الخاصة بالزراعة أيضًا .

ـ قلت لك .. حددى ما تريدينه وسوف أحضره لك على الفور .

وأردف قائلًا :

ـ لكن .. كم من الوقت يلزمك لتنفيذ هذا ؟
ـ أعتقد أننى سأحتاج إلى البقاء هنا أربعة أيام أخرى .
ـ وهل هذه الفترة كافية ؟
ـ إنها كافية تمامًا .
ـ رغم أننى غير مقتنع تمامًا بهذا الشأن .. إلا أن تلك الثقة ، وذلك العزم الذى أراه فى عينيك يدفعنى إلى التفاؤل .
ـ يمكنك أن تعتمد علىّ .
ونهضت قائلة :
ـ والآن .. هل تسمح لى أن أصعد إلى غرفتى لتبديل ثيابى ؟
أجابها قائلًا :
ـ بالطبع يابنيتى .. تفضلى .
ـ سأحتاج إلى أن أجرى اتصالًا تليفونيًا .. لكى أطمئن والدتى وأخبرها بشأن إقامتى هنا .
ـ إن الهاتف تحت أمرك .. ويمكنك أن تعتبرى نفسك فى منزلك وأن تتصرفى كيفما تشائين .
وفى تلك اللحظة كان (سامح) قادمًا إلى الشرفة ، عندما صادفها أثناء انصرافها وهى تتحدث إلى أبيه .
وسألها قائلًا بوجه جامد الملامح :

ـ هل أعجبتك المزرعة ؟
ـ أعجبتنى للغاية .. حتى إننى قد أبقى بها بضعة أيام أخرى .
قال لها (سامح) بتلقائية وانزعاج :
ـ ماذا ؟
قالت له بخبث :
ـ أرجو ألا يزعجك هذا .
قال لها ببرود :
ـ يزعجنى .. أبدًا .. ولكننى كنت أظن أنك تتعجلين العودة .
وتابعها وهى تنصرف .. ثم تحدث إلى أبيه قائلًا :
ـ هل تنوى هذه الفتاة البقاء لدينا بضعة أيام أخرى ؟
أجابه الأب قائلًا :
ـ نعم .
ـ ولكن .. لماذا ؟
ـ (سامح) .. ما الذى دهاك ؟ لماذا تبدو منزعجًا بشأن بقاء هذه الفتاة فى ضيافتنا ؟
ـ فتاة التقطتها من الطريق بالأمس .. ولا نعرف عنها شيئًا سوى أنها كانت فى زيارة زميل لها فى الكلية .. ومع

ذلك نسمح لها بالإقامة فى منزلنا لعدة أيام بلا مبرر حقيقى .. وأسمعك تقول لها : إنها تستطيع أن تعتبر نفسها فى منزلها وأن تتصرف كما يحلو لها .. ألا ترى فى ذلك ما يستوجب الانزعاج ؟

وفى تلك اللحظة دخلت عليهما (يسرا) الشرفة قائلة :

ـ معذرة .. لقد نسيت نظارتى الشمسية .

وناولها الأب النظارة قائلًا لها بحرج :

ـ آه .. ها هى ذى ..

وتناولتها وهى تلقى نظرة سريعة على (سامح) الذى أدار لها ظهره وهو يطلق زفرة قصيرة .. ثم سارعت بمغادرة الشرفة بخطوات متسرعة .

وقال الأب لابنه بغضب بعد انصرافها :

ـ أرجو ألا تكون قد سمعت ما قلته الآن .

قال له (سامح) بانفعال :

ـ فلتسمع .. هذا منزلنا .. ولنا أن نقول فيه ما نشاء .

قال له الأب وقد ازداد غضبه :

ـ إنه منزلى أنا .. قبل أن يكون منزل أى شخص آخر .. ولى أن أستضيف فيه من أشاء .. ويتعين على الجميع هنا احترام ضيفى .

قال له (سامح) وقد هدأت حدته قليلًا :

ـ بالطبع يا أبى .. وأعتقد أننى أنا الذى أخطأت بإحضارها إلى هنا .

ـ مازلت لا أفهم سر قلقك من وجود هذه الفتاة فى منزلنا .

ـ إننى قد قمت بواجبى نحوها بالأمس .. وكان ظنى أن الأمر سينقضى بانقضاء تلك الليلة التى قضتها فى منزلنا .. لكن ما دمت تصر على استضافتها بضعة أيام أخرى .. فلا بأس ما دامت هذه هى رغبتك .

ـ إن الأمر لا يقتصر على الضيافة .. بل لدى سبب آخر جعلنى أطلب من الفتاة البقاء فى ضيافتنا .

ـ وما هو ؟

ـ لقد أخبرتنى .. أنها تستطيع التصدى للآفات التى أصابت أشجار البرتقال واليوسفى .. وإعادة المحاصيل إلى ما كانت عليه من إنتاجية عالية .

قال له (سامح) وفى صوته نبرة غاضبة :

ـ هى قالت لك ذلك ؟

ـ نعم .

ـ وهل صدقتها ؟

ـ أنها تبدو واثقة من نجاحها فى ذلك .
ـ ولكنى أكدت لك .. كما أكد لك عدد من المهندسين الزراعيين الأكفاء عدم جدوى ذلك .. لقد أصبحت هذه الأشجار مريضة بالفعل .
ـ ومع ذلك فهى تؤكد أنها تستطيع علاجها .
ـ لماذا تبدو واثقًا فى رأيها هكذا ؟
ـ لا أدرى .. لكننى أشعر بالفعل بالثقة فى هذه الفتاة .. وأنها قادرة على النهوض بهذه المزرعة مرة أخرى .
ـ أبى .. لقد انتهينا من مناقشة أمر هذه المزرعة .. واتفقنا على بيعها .
ـ إننى أتمنى لو لم أضطر إلى ذلك .
قال له (سامح) بانفعال :
ـ ما الذى يعجبك فى هذا المكان الممل ؟. الذى ننام فيه ، نصحو فيه ، لاجديد .. ولا شىء سوى هذه الحياة الرتيبة التى تصيب الإنسان بالسأم .
ـ إن هذا المكان الذى تتحدث عنه كافحت للحفاظ عليه .. وبفضله تربيت أنت، وأختك أفضل تربية .
إن كل طوبة هنا لها مكانتها لدى .. انظر إلى هذه الحديقة الرائعة .. ألا تشعر بشىء من الارتباط بها ؟.. ألم

تساهم بنفسك فى زراعتها وتحويلها إلى تلك الصورة البهيجة ؟
إننى أحب هذه المزرعة يابنى .. وأتمنى أن أموت فيها .
ـ أبى .. إنك تتحدث بطريقة عاطفية .. وتتمسك بأشياء لا معنى لها .. أما أنا فأحدثك بأسلوب عملى .
لقد أحضرت لك مشتريًا سيدفع لك ثمنًا مجزيًا للغاية لقاء هذه المزرعة وأعدك بمشروع تجارى ناجح سيجلب علينا أرباحًا طائلة .. والأمر لايحتاج منك إلى كل هذا التردد .. أو الانصياع وراء ميول عاطفية لا معنى لها .
ـ تلك الأشياء التى أصبحت تراها بلا معنى تعنى لى الكثير .
دق (سامح) بيده على المائدة قائلًا :
ـ كل ذلك بسبب هذه الفتاة اللعينة .
ـ بل لأننى لا أريد أن أتخلى عن هذه المزرعة حقًا .. وقد فتحت لى هذه الفتاة باب الأمل لذلك .
ومع ذلك .. فإننى أعدك .. لو لم تنجح محاولتها فى علاج أشجار الموالح .. فإنى سأبيع المزرعة .. وأحقق لك رغبتك .

* * *

٨ ـ لن أتراجـع ..

كانت (يسرا) غاضبة للغاية .. فقد سمعت ما قاله (سامح) لأبيه، وعرفت أنه لا يرغب فى وجودها بالمزرعة .

ودفعها كبرياؤها إلى أن تعد حقيبتها، استعدادًا للسفر ومغادرة المكان، لكنها فكرت فى وعدها لذلك الأب الطيب الذى منحها ثقته .. والذى يرغب فى الاحتفاظ بمزرعته والبقاء فيها حتى الموت .

كما فكرت أن التصدى للآفات التى أصابت أشجار الموالح يمثل تحديًا لها ولكل ما درسته وتعلمته .. وهى تميل لذلك النوع من التحديات .. مما دعاها إلى التراجع عن قرارها بمغادرة المزرعة فى الحال .. ورأت أن نجاحها فى تنفيذ وعدها للحاج (عبد الفضيل) سيكون أفضل رد على ما قاله (سامح) لأبيه .

وقالت لنفسها بتحد :

ـ نعم .. علىّ أن أبقى هذه الأيام الأربعة، لأحقق ما وعدت به، وأن أنحى كبريائى جانبًا .

لكنها لم تستطيع أن تقاوم غضبها وهى تقول لنفسها :

ـ ولكن .. لماذا لا يرحب ببقائى هنا ؟ وكيف سمح لنفسه أن يقول لأبيه عنى ما قاله ؟

لقد كان بالأمس إنسانًا شهمًا نبيلًا وحنونًا .. أحاطنى برعايته، ووفر لى مكانًا آمنًا ألجأ إليه فى وقت كنت فيه كالتائهة .

وخفف من قسوة آلامى النفسية فى لحظة كنت أحوج ما فيها إلى ذلك .. فما الذى بدله على هذا النحو ؟

ولماذا يفسد تلك الصورة الجميلة التى رسمتها له بالأمس ؟

وعادت لتقول لنفسها :

ـ وما الذى كنت تنتظرينه منه أكثر مما فعله معك الليلة الماضية ؟ لقد تصرف بالفعل كرجل شهم يساعد فتاة تتعرض لضائقة .. وانتهى الأمر معك إلى هذا الحد .. وأنت لا تعنين له أكثر من فتاة مد لها يد المساعدة .. ولا ينبغى أن يكون مسئولًا بأكثر من ذلك وهذا واضح من تصرفه وكلماته .

واستمرت فى حوارها مع نفسها قائلة :

ـ ولكنى كنت أظن أننى ربما أكون قد تركت فى نفسه

أثرًا أكثر من ذلك .. خاصة وهو يصفنى بأننى فتاة جميلة فى السيارة .

وابتسمت لنفسها بسخرية قائلة :

ـ لقد كنت تظنين وقتها أن له أغراضًا أخرى من وراء ذلك .. وكنت غاضبة من أجل ذلك ، وها أنت ذى غاضبة الآن ، لأن هذه الكلمة كانت بلا معنى حقيقى .

نعم .. ربما كانت مجرد مجاملة .. لا أكثر .

وعادت لتقول لنفسها :

ـ لقد ظننت أننى رأيت فى عينيه شيئًا من الإعجاب .

لكن شخصًا مثله لابد أنه أعجب بالكثيرات من قبل دون أن يتولد عن ذلك شىء ما .. ودون أن يضطر لاستضافتهن فى منزله .

وقالت لنفسها بأسى :

ـ يؤسفنى أن يكون هذا هو شعوره نحوى .. مع أننى .. كنت قد بدأت أحمل له بعض المشاعر .. وأرى فيه .. أرى فيه ...

لكنها سرعان ما تراجعت عما قالته .. محذرة :

ـ ما الذى ترينه فيه ؟.. وأية مشاعر تلك التى تتحدثين عنها ؟ إياك أن تنزلقى إلى هذا الشىء مرة أخرى .. وأن

تستسلمى لأية مشاعر .. كفى ما حدث من قبل .. إنك لم تبرئى من صدمتك فى (صلاح) بعد .

وأكدت على ذلك قائلة لنفسها :

ـ نعم .. يتعين علىّ أن أتوقف عن التفكير فى أى شخص على هذا النحو مرة أخرى .. وألا أدع نفسى تستسلم لأية مشاعر عاطفية .. إننى سأبقى هنا ؛ لأنفذ ما وعدت به الحاج (عبد الفضيل) .. وبعدها سأغادر المكان .. وبذلك أكون قد رددت له ولابنه الجميل الذى قدماه لى .

كما أن هذا الأمر سيشغلنى ويستحوذ على اهتمامى الوقت الذى أحتاجه ، لكى أتخلص من تجربتى القاسية مع (صلاح) .

وغادرت حجرتها وهى سعيدة ؛ لأنها اتخذت هذا القرار ..

سارت (يسرا) فى الحديقة المحيطة بالمنزل ، وهى تفحص بعض أنواع الزهور التى تزخر بها .. عندما رأته واقفًا أمامها .. تراجعت خطوتين إلى الوراء من أثر المفاجأة .

تأملها بنظرة ثاقبة قائلًا :

ـ هل أفزعتك ؟

أجابته قائلة :

ـ كلا .. لكنك فاجأتنى .. فلم أتوقع أن أراك واقفًا أمامى فجأة هكذا .

ـ أنا أيضًا فوجئت بوجودك .. فقد كنت ألقى نظرة على هذه الشجرة عندما لمحتك .

وصمت برهة دون أن يرفع عينيه عن وجهها على نحو أربكها .. قبل أن يقول :

ـ إن هذه النظرة الفزعة التى رأيتها فى عينيك الآن تذكرنى بالليلة الماضية عندما كنت تتوجسين منى خيفة .

ـ لقد كنت مخطئة فى مخاوفى .. وقد اعتذرت لك عن ذلك .

قال لها بجفاء :

ـ نعم .. أعلم ذلك .. هل أعجبك المكان هنا ؟

ـ إننى شديدة الإعجاب به .. فهو مكان رائع .

قال لها وهو يخطو متنقلًا فى أرجاء الحديقة :

ـ أما أنا فلا أراه كذلك .

قالت (يسرا) وهى تسير بجواره :

ـ لماذا ؟.. مع أن كل ما فيه يغرى بالإعجاب به ؟

ـ إننى لا أدرى ما هذا الذى يغرى بالإعجاب ؟.. حظيرة

المواشى المريضة .. أم مزرعة الدواجن التى فتكت بها الأمراض فى العام الماضى ؟. أم محاصيل الموالح التى تتناقص إنتاجيتها عامًا بعد آخر ؟ فضلًا عن هذه القرية المحيطة بنا .. والتى لا يتوافر فيها أى مجال للترفيه أو مظاهر الحياة الحديثة .

ـ إننى مندهشة أن أسمع ذلك من مهندس زراعى .

ـ الشهادة الدراسية شىء .. والحياة العملية شىء آخر .

ـ فمن الممكن دائمًا أن نطبق ما تعلمناه على حياتنا العملية .

ـ هذا إذا كنا سنجنى من وراء ذلك نجاحًا عمليًا .

ـ تقصد نجاحًا ماديًا .

ـ إن النجاح العملى مرتبط دائمًا بنجاح مادى .. هل سمعت عن مشروع ناجح يحقق خسائر مادية ؟

ـ بل سمعت عن مشروع يمكن أن يكون ناجحًا لكننا لا نحسن استغلاله أو العناية به .. ثم ندعى بعد ذلك أنه يحقق خسائر ، وأنه مشروع ينذر بالفشل .

ـ تقصدين هذه المزرعة ؟

ـ نعم .

ـ هذا يعيدنا إلى ما أردت أن أتحدث إليك بشأنه ..

والذى دعانى إلى فتح هذا الحوار معك .. ما الذى تهدفين إليه من وراء بقائك هنا ؟
ـ ألا تريدنى أن أبقى فى ضيافتكم بضعة أيام أخرى ؟
ـ أنت تفهمين مغزى سؤالى .
ـ لابد أن والدك قد أخبرك .
ـ هل تنوين حقًا معالجة أشجار الموالح ؟
ـ تمامًا .
ـ ولكن هذه الأشجار قد تمكنت منها الآفات .. وثمارها تتناقص عامًا بعد آخر ، حتى إن البعض منها توقف عن طرح الثمار بالفعل .
ـ ولكنى قادرة على معالجة هذا الأشجار وإعادتها إلى ما كانت عليه فى البداية .
قال (سامح) بضيق :
ـ وما الذى يجعلك واثقة من هذا ؟
ـ لقد فحصتها عن قرب .. ووجدت أننى أستطيع مقاومة هذه الآفات .
ـ لكننى فحصتها قبلك ، ووجدت أن هذا مستحيل .
قالت له (يسرا) بثقة :
ـ إنها وجهات نظر يا باشمهندس .. ولا تنس أننى

متخصصة فى الموالح .: وبحكم عملى فى مزكر البحوث الزراعية .. فإننى قمت بإجراء تجارب عديدة بشأن مقاومة هذا النوع من الآفات .
ـ وماذا عن غيرى من المهندسين الزراعيين الآخرين الذين فحصوا هذه الأشجار ؟.. إنهم خبراء فى الموالح أيضًا .. وقد أقروا بعدم فاعلية المقاومة الآن فى هذه المرحلة المتأخرة .
ـ برغم أنه يدهشنى ذلك .. فعلى الأقل أستطيع أن أحصل على فرصة ؛ لتنفيذ خطتى بشأن علاج هذه الأشجار .. فهذا لن يكلف شيئًا سوى إتاحة الفرصة لتقديم خبرتى بهذا الشأن .
قال لها (سامح) بعد نفاد صبر :
ـ بل سيكلف .. يكلف آلات رش .. ومواد كيمائية .. وعمالًا زراعيين . وكل ذلك بلا طائل ولا وجدوى .
ـ لا يمكنك أن تحكم .. قبل أن ترى النتائج يا باشمهندس .
قال لها (سامح) بعصبية :
ـ هل ترين نفسك دائمًا أفضل من الآخرين ؟
ـ بل أعرف قدرات نفسى تمامًا .
ـ هذا ليس سوى غرور من جانبك .

ـ أشكرك على أن هذا هو تقديرك لى .. ولكن قل لى .. لماذا تبدى هذه الرغبة الشديدة فى بيع المزرعة ؟

ـ هذا ليس من شأنك .

ـ بل من شأنى .. ما دام أبوك قد أوكل لى مهمة العناية بمحاصيل الموالح ، وأوضح لى بجلاء أننى لو نجحت فى مهمتى ، فإنه لن يتنازل عن هذه المزرعة بأى حال من الأحوال .

قال لها (سامح) بعد برهة من التفكير :

ـ وإذا أخبرتك بأننى أريده أن يبيع المزرعة .. ولا أرغب فى احتفاظه بها .

ـ لماذا ؟

ـ للأسباب التى ذكرتها لك من قبل .. ولرغبتى فى إقامة مشروع تجارى بالمال الذى سنحصل عليه من بيعها .. أتولى إدارته ونؤمن عن طريقه ربحًا ماديًا مجزيًا كل عام .

ـ وهل أنت واثق من نجاح هذا المشروع ؟ ومن أنه سيدر عليك ربحًا مجزيًا كل عام .

ـ بالطبع ؟

ـ ومن أجل هذا أوعزت إلى أبيك أن أشجار الموالح لن

تجدى معها وسائل العلاج الزراعية .. وأوعزت إلى زملائك من المهندسين الزراعيين أن يخبروه بذلك أيضًا .. حتى تشجعه على بيع المزرعة .

نظر إليها (سامح) بدهشة قائلًا :

ـ ما هذا الذى تقولينه ؟

ـ أليست هذه هى الحقيقة ؟

قال لها بانفعال :

ـ إنك تتجاوزين حدودك و ...

قاطعته قائلة :

ـ لقد طلبت منى أن أساعدك على اقتناع أبيك ببيع المزرعة .. إذن يتعين عليك أن تكون صريحًا معى .. وأن تخبرنى عما إذا كان ما قلته حقيقيًا أم لا .

أطلق زفرة قصيرة قائلًا :

ـ حسن .. إنه حقيقى .. إن أبى شخص عنيد وهو شديد التعلق بهذه المزرعة .. لذا كان يتعين إقناعه ببيعها بأية وسيلة .

ـ بأن تغشه ؟

قال لها مستنكرًا الكلمة :

ـ أغشه ؟. كيف تسمحين لنفسك بأن تقولى ذلك ؟

ـ وهل توجد تسمية أخرى لما فعلته غير ذلك ؟

ـ لكن الآفات موجودة بالفعل .

ـ نعم .. ولكن يمكن مقاومتها .. لا تركها تأتى على المحصول، لكى تحقق هدفك من بيع المزرعة .. إنك تساهم فى القضاء على هذه الثمار .. القضاء على نعمة منحها لنا ربنا .

قال لها وهو يتلفت حوله فى قلق :

ـ هل يمكنك أن تخفضى صوتك ؟

ثم استطرد قائلًا :

ـ اسمعينى جيدًا .. إن هذه المزرعة ستباع لمشتر سيحسن استغلالها والعناية بها .. وهو سيدفع ثمنًا مناسبًا للغاية .. نحن بحاجة للمبلغ الذى سيدفعه ؛ لكى نقيم هذا المشروع الذى حدثتك عنه .

ـ أنت وحدك الذى تسعى وراء هذا المشروع .. أما والدك وأختك فلا يريدانه .. بل يريدان هذه المزرعة .

صاح فيها قائلًا :

ـ هذا ليس من شأنك .

ثم تذكر أنه يتعين عليه أن يخفض صوته .. فسألها قائلًا :

ـ لماذا تتدخلين فيما لا يعنيكِ ؟

ـ لأننى أكره أن أراك تغش أباك، وتحرمه من هذا المكان الذى يحبه .

ـ إننى لا أريده أن يضيع حياته وجهده فى هذا المكان .. أريده أن يربح وأن نربح معه .. هل تفهمين ؟.. هذا لم يعد عصر الزراعة ومحاصيل البرتقال واليوسفى . إن الأرباح تأتى اليوم من المشاريع التجارية .

ـ والخسائر الكبيرة تأتى أيضًا من وراء المشاريع التجارية لمن لا يفهمون فيها .

قال لها (سامح) بضيق :

ـ هأنتذى تتدخلين مرة أخرى فيما لا يعنيكِ، وعلى كل حال أنت لا ترضين لنا الخسارة .. إن هذه المزرعة ستبدد أموال أبى بلا طائل . وفى النهاية سيضطر لبيعها بأقل من المبلغ المعروض علينا الآن بعد أن تقل قيمتها عما هى عليه الآن .

ـ لن تقل قيمتها .. بل ستزداد مع ازدياد إنتاج محصول الموالح هنا .

ـ هل تظنين أن الأمر يتعلق بمحصول الموالح فقط ؟ وماذا عن الماشية والدواجن ؟

ـ كل تلك الأشياء يمكن العناية بها بوساطة الأطباء البيطريين والمتخصصين .

قال لها بحنق :

ـ كان من الخطأ أن آتى بك إلى هنا .

ـ ربما أرسلتنى العناية الإلهية إلى هنا .. لكى أساعد ذلك الرجل الطيب الذى هو أبوك على الاحتفاظ بمزرعته .

ـ حسن .. كم تأخذين ؛ لترحلى عن هذا المكان فى الحال ؟

نظرت إليه نظرة تنم عن الاشمئزاز قائلة :

ـ لقد بدأت بالغش .. وهأنتذا تعرض على الآن رشوة . ترى ما الذى ستقودك إليه أطماعك أكثر من هذا ؟

قال لها بانفعال :

ـ اسمعى أيتها الفتاة .. لقد بدأت أضيق بك ذرعًا .. إننى آمرك بأن تغادرى هذا المنزل فى الحال .

صمتت (يسرا) برهة قبل أن تقول له :

ـ عفوًا .. لكنك لا تملك الحق فى ذلك .

قال لها بدهشة :

ـ لا أملك الحق فى ذلك ؟. إننى صاحب هذه المزرعة .

قالت له بهدوء :

ـ بل والدك هو صاحبها .. وإذا أراد هو منى أن أغادرها فسوف أفعل .

ثم تركته وانصرفت ، ولكنه لحق بها ؛ ليعترض طريقها قائلًا :

ـ لا تجبرينى على أن أتعامل معك بأسلوب غير لائق .

قالت له بنفس النبرة الهادئة :

ـ إذا لم تبتعد عن طريقى الآن .. فسوف أخبر الجميع بأنك قد ضللت والدك بشأن أشجار الموالح .

صاح فيها قائلًا :

ـ هل تهددينني ؟

ثم رفع يده عاليًا وهو يهم بصفعها .. لكنها نظرت إليه بثبات قائلة :

ـ هل تريد أن تصفعنى ؟.. هيا افعل ! .

ولم يجرؤ على أن يفعل .. بل خفض يده بجانبه . بينما قالت له :

ـ بقدر ما احترمتك بالأمس .. بقدر ما سقطت من نظرى الآن .

ثم تركته وواصلت طريقها نحو المنزل .. وهو فى أشد حالات الانفعال .. والأسى ..

★ ★ ★

٩ ـ الشــاردة ..

تحول انفعاله إلى إحساس بالندم .. فقد أحس بأنه أخطأ خطأ كبيرًا حينما تهور وهم بأن يصفعها على هذا النحو .

لقد كان هذا جرحًا بالغًا لشعورها ، يتعين عليها أن تكرهه من أجله ..

وقال لنفسه محاولًا أن يخفف من إحساسه بالندم :

ـ لكنها .. هى التى دفعتنى إلى ذلك .. إنها تتصرف كما لو كانت تمتلك هذا المكان .

لقد أثارت حنقى إلى حد دفعنى لأن أعاملها بهذه الغلظة .. خاصة عندما اتهمتنى بالغش .. وأننى قد ضللت أبى من أجل بيع المزرعة .

وعاد ليقول لنفسه :

ـ ولكن .. أليست هذه هى الحقيقة ؟ ألم تضلل أباك بالفعل ، وتوهمه بأنه لاجدوى من علاج أشجار الموالح ؟. وأن المزرعة فى طريقها لاحراز خسائر كبيرة لو لم يعجل ببيعها ؟. من أجل ذلك المشروع التجارى الذى تسعى لتنفيذه .

واستمر فى محاورته لنفسه ؛ محاولًا تخفيف الوطء على ضميره وهو يقول :

ـ لقد كان هدفى هو تحقيق المصلحة العامة .. فذلك المشروع كان سيعود بالخير على أفراد الأسرة جميعًا .

وتنهد قائلًا :

ـ لكن هذا لايغير من حقيقة الأمر شيئًا .. فالحقيقة هى أنك خدعت أباك وأختك ، وحاولت أن تبرر لهما حتمية بيع المزرعة ، وضرورة التخلص منها قبل أن تلحق بها خسارة كبرى ، وأنت تعرف مدى تعلقهما بها وحبهما لهذا المكان .

وقد فعلت هذا من أجل أنانيتك وحبك لذاتك .

وحاول أن يسكت صوت ضميره مرة أخرى وهو يقول لنفسه :

ـ إن الغاية تبرر الوسيلة .. وأنا لم أكن لألحق بهما أذى .. بل سعيت لتأمين مستقبلنا .

وعندما يبدأ هذا المشروع فى تحقيق أرباحه فى المستقبل سيعرف كل منهما ذلك .. وسيريان أننى كنت محقًا فى إصرارى على بيع المزرعة .

وعاوده الغضب مرة أخرى وهو يقول :

- ولكن هذه الفتاة .. لولا تدخلها .. لقد بدأ رأس أبى يلين وهى تسعى لإفساد كل شىء الآن .

لابد من منعها من الإستمرار فى التدخل فى هذا الأمر .. والحيلولة بينها وبين إظهار براعتها التى تدعيها ؛ لإنقاذ محاصيل الموالح .

ولكن كيف يتسنى لى تحقيق ذلك ؟

وهداه تفكيره إلى القول :

- اللباقة .. ومحاولة التأثير على مشاعرها .

نعم .. لقد عاملتها بخشونة وحماقة .. وليس هذا هو الأسلوب الأمثل للتعامل مع فتاة مثلها .

ولكن ربما لو أظهرت لها بعض المشاعر الرقيقة .. وعاملتها بأسلوب أكثر نعومة .

ربما أدى ذلك إلى التأثير عليها وضمها لصفى .

★ ★ ★

قامت (يسرا) بجهد شاق فى اليوم التالى وهى تشرف على العمال الزراعيين وتساعدهم فى رش أشجار البرتقال واليوسفى ، بالمحاليل الكيمائية المقاومة للآفات .

كان العرق يتصبب منها غزيرًا وهى تنتقل من شجرة إلى أخرى ، وترشد المزارعين إلى الطريقة المثلى

للرش .. ثم تعمل على أخذ عينات من ثمار الأشجار لفحصها فيما بعد .

وعلى مسافة غير بعيدة وقف الحاج (عبد الفضيل) يرقبها بإعجاب ، وهى تعمل بهذا الجد والنشاط ، حينما اقتربت منه ابنته لتتطلع إلى (يسرا) وفى عينيها نظرة إعجاب مماثلة ، قائلة له بخبث وشقاوة :

- ماهذا ياحاج (عبد الفضيل) .. لم أكن أعرف أنك واقف هنا ترقب هذه الفتاة الجميلة خلسة .

قال لها الأب بجدية مصطنعة !

- تأدبى يا بنت .

ثم أردف قائلًا :

- إن هذه الفتاة تملك عزيمة قوية للغاية .

- إنها تدخل القلب منذ الوهلة الأولى .

- ولكن .. هل تظننين أنها ستنجح فيما وعدت به ؟

- إننى أرى أنها تبذل أقصى جهدها من أجل ذلك .

- ومع ذلك فإن أخاك لايرحب بوجودها .

- لأنه يخشى أن تنجح فى مساعدتنا على الاحتفاظ بالمزرعة .

- نعم .. إننى أدرك ذلك .. وأتمنى ألا نضطر إلى بيعها بالفعل .

وأنا أيضًا .. إننى ذاهبة إلى (يسرا) .
لكن الأب أمسك بذراعها ليستوقفها قائلًا :
ـ تعالى هنا .. لاتعطليها عن عملها .
ـ لكننا لم نلتق منذ الصباح .
ـ حسن .. ولكن خمس دقائق فقط .. فأنا أعرفك جيدًا .. ثرثارة وشقية .
رفعت (نجوى) يدها أمام صدرها قائلة :
ـ أعدك بذلك .. خمس دقائق فقط .
واندفعت وسط حديقة البرتقال ، وهى تلوح لـ (يسرا) التى ابتسمت لها وهى تلوح بدورها .
واقتربت منها قائلة :
ـ ماكل هذا النشاط والحيوية ؟
ـ يتعين علىّ أن أنتهى من هذا الجزء من الحديقة اليوم .
ـ ولكن هل سيأتى هذا على حساب الوقت الذى نمضيه معًا ؟
إننى أفتقدك كثيرًا .
ابتسمت (يسرا) قائلة :
ـ وأنا أيضا .. على كل حال أمامى ثلاث ساعات أخرى وبعدها سنلتقى معًا ، ونتحدث كيفما تشائين .

ـ مازال أمامك ثلاث ساعات .. وبالطبع ستكونين بعدها مرهقة وبحاجة للراحة والنوم .
ـ إننى أبذل مابوسعى من أجل العناية بمحصول هذا العام .. إن هذا سيضمن لك الاحتفاظ بالمزرعة التى تحبينها .. ألا ترين أن هذا يستحق أن أبذل من أجله كل هذا الجهد ؟
واحتضنتها (نجوى) فى مودة حقيقية قائلة :
ـ يا حبيبتى يا (يسرا) .. إننى لم أعد أرغب فقط فى الإبقاء على هذه المزرعة ..
ولكنى أريدك أن تبقى معنا فيها .
لا أدرى .. لماذا أشعر وكأننا صديقتان قديمتان برغم أننا لم نتعارف إلا من فترة وجيزة ؟
ـ هذا نفس إحساسى يا (نجوى) .
ـ إذن .. ماذا لو فكرت فى البقاء معنا هنا لو لم تبع المزرعة ؟
ابتسمت (يسرا) قائلة :
ـ لاأعتقد أننى أستطيع ذلك .
ـ لماذا ؟ إذا نجحت فى زيادة إنتاجية المحصول .. ستكونين أفضل شخص يمكنه تولى شئون هذه المزرعة

والعناية بحدائق الموالح . وسوف أضمن لك أن يمنحك أبى أجرًا جيدًا .. وإجازة يومين فى الأسبوع .. كما أن المسافة قصيرة بين المزرعة والقاهرة ، وستخصص لك سيارة .

اتسعت ابتسامتها وهى تقول لها :

ـ ولكنى أفضل الاستمرار فى عملى الذى عينت به .

مطت (نجوى) شفتيها قائلة :

ـ خسـارة !

ـ اطمئنى .. إن هذا لن يؤثر على صداقتنا فى شىء .. فسوف يمكننا دائمًا أن نتراسل ونتحدث هاتفيًا .. كما أننى سآتى لزيارتك وتأتين لزيارتى .. فالصلة بيننا ستظل قائمة .

ـ وما أخبار (سامح) معك ؟

اضطربت (يسرا) قائلة :

ـ ماذا تعنين بذلك ؟

ـ أما زال متحفظًا بالنسبة لك ؟

ـ وماذا تعنين بكلمة متحفظ هذه ؟

ـ ألم يحاول أن يضايقك ؟

قالت (يسرا) وهى تخفى حزنها :

ـ نعم .. لم يضايقنى ..

ـ ولم يحاول أن يغازلك ؟

نظرت إليها (يسرا) باستنكار قائلة :

ـ (نجوى) !

قالت (نجوى) بشقاوة :

ـ حسن .. لقد كنت أتساءل فقط .. على كل حال سيكون أحمق لو حاول مضايقتك .. وسيكون أكثر حماقة لو لم يفعل ....

نظرت إليها (يسرا) شذرا وهى تقول :

ـ أحيانًا تقولين كلمات تثير حنقى عليك .

ـ أنا آسفة .. سأتركك الآن .. فهل ترين ذلك الرجل الواقف هناك يتأملك ؟

وأشارت إلى أبيها وهى تردف قائلة :

ـ إنه شديد الإعجاب بك .. وقد وعدته ألا أثقل عليك .. لذا فأنا مضطرة أن أتركك الآن لأفى بوعدى .

وابتعدت عنها قليلًا .. ثم استدركت قائلة فى مرح :

ـ على فكرة .. لو لم يستعد أخى بصره ؛ ليرى تلك الفتاة الجميلة التى نزلت فى ضيافتنا .. ويسعى لخطب ودها ؛ فربما سبقه أبى إلى ذلك .

وهمت (يسرا) بأن تضربها .. لكنها سارعت بالابتعاد .

وعادت لترقب المزارعين أثناء استعمالهم لماكنات الرش ، وقد بدت هذه المرة عاجزة عن التركيز فيما يقومون به من عمل .

كانت ساهمة وهى تفكر فيما قالته لها (نجوى) .. إنها تظن أن أخاها يمكن أن يبدى اهتمامًا حقيقيًا بها .. أو يحاول خطب ودها .

بينما هو فى الحقيقة يكرهها .. ويتمنى لو رحلت عن هذا المكان . بل كان يتمنى لو لم يأت بها إلى هنا .

ولو استطاع أن يطردها من المزرعة لفعل .

ولولا وعدها للحاج (عبد الفضيل) لما بقيت فى هذا المكان يومًا واحدًا بعد ما قاله لها .

إنه إنسان أنانى ومادى .. لاتعنيه مشاعر الآخرين ، ولا يهتم بمعانى الأشياء الجميلة التى تربط بين الإنسان والمكان .. قدر اهتمامه بتحقيق مصلحته الذاتية .. ولو باللجوء إلى الغش والخداع .

بقدر ما أعجبت به فى البداية بقدر ما خاب أملها فيه .

ولمحت (يسرا) الأب وهو يغادر المكان عائدًا إلى منزله بعد أن اطمأن على رعايتها لأشجار الموالح .

وعاودها شرودها مرة أخرى ، وهى تستعيد ملامح وجه (سامح) حينما أتى بها إلى هذا المنزل ، وأخذ يوصى بها أم (ابراهيم) وقد أخذ يبذل أقصى ما لديه من جهد من أجل راحتها ، وتوفير الأمان الذى كانت تحتاجه فى هذه الليلة البائسة .

كان يبدو إنسانًا نبيلًا ورقيقًا بكل معنى الكلمة .. وأحست به وهو يودعها قبل ذهابها إلى غرفتها وكأنه ملاك أرسلته لها السماء ؛ ليخفف عنها معاناتها فى هذا اليوم .

لكن ما أبعد المسافة بين هذا الرجل الذى التقت به فى تلك الليلة ، وبين الرجل الذى حادثها بالأمس بكل تلك القسوة التى كانت تقطر من كلماته .

والذى كاد أن يصفعها على وجهها .. ويلقى بها خارج المزرعة .

كان الإنسان الذى حادثها بالأمس إنسانًا همجيًا .. قاسيًا مستعدًا لفعل أى شيء فى سبيل تحقيق مصلحته .

نعم .. لقد خاب أملها فيه .. ولم تكن تتمنى أن تكتشف فيه ما اكتشفته من جوانب مظلمة .

وفى تلك اللحظة تنبهت من شرودها على صوت أحد المزارعين وهو يقول لها :

ـ يا باشمهندسة .. هل يمكننا أن نحصل على راحة الآن ؟ فنحن نعمل منذ الصباح .

نظرت (يسرا) إلى ساعتها قائلة :

ـ فلتستريحوا لمدة نصف ساعة فقط .. بعدها سنواصل العمل .

ثم استأنفت سيرها بين أشجار البرتقال .. وهى تحاول ألا تستسلم لذلك الشرود .. وألا تفكر فى (سامح) مرة أخرى .

وتوقفت وهى مندهشة من نفسها :

ـ إنها تقول : إنه يتعين عليها ألا تفكر فى (سامح) .. فى حين كان المفروض أن تكون أفكارها منشغلة بـ (صلاح) .. وبالصدمة التى تلقتها على يديه منذ يومين فقط .

بدت وكأنها مستغربة من طريقة تفكيرها .

ـ لقد استطاع (سامح) أن ينسينى (صلاح) .. ومشكلتى معه تغلبت على صدمتى التى تلقيتها منذ يومين فقط .

نعم .. لقد حدث هذا بسرعة غريبة .. وعلى نحو لم تتوقعه .

برغم أنها كانت تظن أنها لن تبرأ من جراحها قبل مرور فترة طويلة من الزمن .

تُرى .. أهو (سامح) ؟ أم الحماس الذى تبديه نحو العمل فى هذه المزرعة .. والذى قد يكون وسيلة هروب مؤقتة ؟

إنها لاتدرى .. كل ماتدريه .. هو أنها لاتفكر الآن فى (صلاح) ومشاعرها نحوه .. وصدمتها فيه على النحو الذى كانت تتصوره .

وفيما هى مستغرقة فى أفكارها .. وجدته واقفًا أمامها وملامح الخجل مرتسمة على وجهه .

★ ★ ★



١٠ ـ شعور خفى ..

نظر إليها كما لو كان طفلًا ارتكب ذنبًا .. قائلًا :

ـ هل تذكرين عندما اعتذرت لى عما ظننته بى عندما كنا معًا فى تلك السيارة ؟

لقد اتهمت نفسك بالحماقة فيما ذهبت إليه .. وقد قبلت منك اعتذارك .

وصمت برهة قبل أن يقول :

ـ وها قد جاء دورى لكى أعتذر .. إننى آسف على ما بدر منى بالأمس ، وأرجو أن تقبلى اعتذارى .

تظاهرت بالجمود وهى تسأله قائلة :

ـ عن أى شىء ؟.. عن إهانتك لى .. أو محاولتك رشوتى ؛ لكى أشاركك خديعتك لأبيك .. أم عن محاولتك أن تصفعنى ؟

قال لها وهو منكس الرأى :

ـ عن كل شىء .

أدارت له ظهرها وهى تتابع سيرها قائلة :

ـ آسفة .. لن أقبل اعتذارك .

نظر إليها فى دهشة برهة من الوقت .. وكأنه لا يصدق أن تكون هذه هى إجابتها .. ثم ما لبث أن لحق بها قائلًا :

ـ ولكننى قبلت اعتذارك من قبل .. ألا تستطيعين أن تكونى متسامحة ؟

قالت (يسرا) بكبرياء :

ـ هناك فارق بين ما ارتكبه كل منا من ذنب .

ـ بل هناك سوء فهم .

التفتت إليه قائلة وملامح الغضب واضحة على وجهها :

ـ بل أعتقد أننى أفهمك الآن جيدًا يا أستاذ (سامح) .

ـ اسمعى .. دعينا لا ندخل فى مجادلة مرة أخرى .. لقد جئت إليك لأعتذر عن كل ما قلته وفعلته .. وأنا بالفعل نادم على ما فعلته معك .. فلم يسبق لى .. بل لم أتصور أن ترتفع يدى ذات يوم على فتاة أو امرأة .

لكننى أعتقد أنها كانت لحظة انفعال حمقاء .

ونظر إليها وفى عينيه توسل قائلًا :

ـ والآن .. هل ستسامحيننى ؟

بدا عليها بعض ملامح التردد .. ثم قالت له بعد برهة من الوقت :

ـ تستطيع أن تقول : إننى قد قبلت اعتذارك .

أمسك بيديها قائلًا وفى عينيه امتنان حقيقى :
ـ أشكرك .. أشكرك جدًا .
وللحظة أحست (يسرا) برجفة فى يديها من جراء لمسته لها .. وبدا وكأن تيارًا كهربائيًا يسرى فى أناملها دون أن تدرى مصدره .
فسحبت يدها من يده سريعًا .. وهى تقول له بصوت خرج خافتًا برغم منها .. ثم سرعان ما حاولت أن تجعله يبدو طبيعيًا :
ـ لم أكن أعتقد أن قبولى لاعتذارك ، سيشكل كل هذه الأهمية بالنسبة لك .
ـ إنك لا تعرفيـن مدى الأسف الـذى أحسست به بالأمس ، وتأثير ما قلته لى من كلمات قبل انصرافك على نفسى .. لقد حرمنى ذلك الإحساس بالندم من النوم .
وكلما استعدت كلمتك لى بأننى قد سقطت من نظرك كلما عاودنى الأرق .
صدقينى إننى لست متهورًا على هذا النحو الذى بدوت عليه بالأمس ، ولا أدرى ما الذى دفعنى لأن أتصرف معك على هذا النحو .
ـ حسن .. لست بحاجة لكى تقول المزيد .. فكل هذه

الكلمات التى سردتها الآن معبرًا بها عن إحساسك بالأسف والندم تجاه تصرفك نحوى بالأمس تجعل الأمر منتهيًا .
لكنى لا أعتقد أن الأمر قد انتهى بيننا بشأن العمل الذى أوكله لى أبوك فى هذه المزرعة .. فأنا مازلت مصرة على تنفيذه وإحراز النجاح فيه .. وأعتقد أن هذا أمر لا يلائمك مطلقًا ويتغارض مع مشاريعك .
ابتسم (سامح) قائلًا :
ـ وما حيلتنا .. إذا كانت الأمور تبقى متعارضة بيننا على هذا النحو . على كل حال إن ما أبغيه هو ألا يؤثر ذلك على علاقتنا الشخصية .. فإننى بالرغم من كل شىء ، أحمل لك بعض المشاعر الطيبة .
ـ وأنا أقدر موقفك معى أول أمس حينما صحبتنى فى سيارتك .
ـ هذا الموقـف كنت سأقفـه تجـاه أى فتـاة أخـرى ، لو كانت فى مكانك .. لكنى أتحدث عن المشاعر الخاصة التى أحملها تجاهك .
قالت (يسرا) بدهشة :
ـ مشاعر خاصة !.. لا أفهم ماذا تعنى بذلك ؟
ـ إنك فتـاة رقيقـة وصلبـة فى آن واحـد .. وهـذا

ما يجعلنى معجبًا بك .. وبرغم اختلاف وجهة نظرنا بشأن المزرعة .. إلا أننى معجب بتصميمك وإصرارك على التمسك بوجهة نظرك .

ـ أشكرك .

ـ أضيف إلى ذلك شيئًا سبق أن قلته لك .. وهو أنك جميلة للغاية .. وهذا سبب طبيعى ؛ لكى أعجب بك .

أحست بسعادة داخلية لسماعها هذا منه .. لكنها أخفت إحساسها هذا عنه .. قائلة له بلهجة جادة :

ـ إن هذا يدخل فى دائرة الغزل .

ـ إذن .. فأنا أغازلك !

التفتت إليه محتجة وهى تقول :

ـ اسمع يا باشمهندس .. إننى ..

قاطعها قائلًا :

ـ (سامح) .. (سامح) فقط من فضلك بلا ألقاب .

خفت صوتها وهى تقول له :

ـ إننى أفضل أن نتشاجر عن أن نحاول ...

قاطعها مرة أخرى وهو يبتسم قائلًا :

ـ ولماذا نتشاجر ؟ وما الضرر فى أن أعبر لك عن إعجابى بك .. لا أعتقد أنك مازلت تظنين فىّ ذلك الشاب

العابث المستهتر الذى تخيلته بصحبتك فى السيارة .

فأنا لا أقصد مضايقتك أو العبث بك .. إننى أعبر فقط عن حقيقة إعجابى وتقديرى لك .

ـ وهل هبط هذا الإعجاب والتقدير عليك مرة واحدة ؟.. إننا حتى أمس كنا نتجادل معًا .. وقد كدت أن تصفعنى وتطردنى من منزلك .

ـ بالأمس . كنا نتحدث عن المزرعة .. وقد أثرت غضبى بشأن تدخلك فى أمورنا .. ونحن مازلنا مختلفين بذلك الشأن .

لكن اليوم أتحدث عنك أنت .. وعن شعورى نحوك .. وأنا صادق معك فيما أقوله .

صمتت برهةً وقد أثرت فيها كلماته قائلة :

ـ فى أنك ترانى جميلة ؟

ـ بل جميلة للغاية .. ليس بمقياس الشكل فقط .. ولكن بما أراه فيك من صفات تعبر عن جوهرك .

هزت رأسها قائلة :

ـ إنك لم تعرفنى إلا منذ يومين فقط .

ـ ومع ذلك فقد استطعت أن أتبين الكثير عنك خلال هذين اليومين .

نظرت إلى ساعتها قائلة :

ـ حسن .. والآن هل تسمح لى لكى أواصل عملى ؟

ـ سألتقى بك على الغداء .

وأخذت تنادى على المزارعين ، وهى تتظاهر بالتأهب للعمل .. فى حين كانت تحاول التخلص من تأثير كلماته عليها .. والتى أحدثت أثرًا فى نفسها .. وما أن أولاها ظهره وانصرف حتى التفتت لتنظر إليه .. وقد اعترتها حالة من الاضطراب .

لقد كانت تتهمه منذ لحظات بالأنانية والهمجية والقسوة ، لكن كل ذلك يبدو أنه يتبدد بعد محادثتها معه .

فها هو ذا يعود ليعاملها برقة ولطف ويبدى إعجابه وتقديره لها .. وهى تشعر بأثر بالغ لكلماته على نفسها .

تُرى أيكون ما قاله حقيقيًا ؟ وهل يحمل لها شيئًا من المشاعر حقًا ؟ أم أنه يهدف من وراء ذلك إلى التأثير عليها ؛ لكى تساعده على بيع المزرعة ؟

وتنهدت قائلة لنفسها :

ـ على كل حال .. لقد بدا رقيقًا على النحو الذى أحببته فيه عندما التقينا أول مرة .

والأسلوب الذى حادثها به ترك أثرًا حقيقيًا فى نفسها .

كان عليها أن تنفض كل ذلك من رأسها ؛ لتلتفت إلى ما تقوم به هنا من عمل .. وألا تستسلم لهذا الاندفاع العاطفى الذى تسلل إليها مرة واحدة .

واستدارت ؛ لتتابع الإشراف على المزارعين ، محاولة أن تجعل الاستغراق فى العمل سبيلها إلى مقاومة هذه المشاعر الطارئة .

أما (سامح) فقد واصل طريقه خارج المزرعة ؛ ليسير بالقرب من جدول ماء وهو يسائل نفسه قائلًا :

ـ ترى .. هل نجحت فى تنفيذ خطتى ؟ وهل استطعت أن أؤثر عليها حقًا ؟

اعتقد أننى سأكون بحاجة لبعض الوقت .. حتى يمكننى أن أكون مؤثرًا بالفعل وأتمكن من ضمها لصفى .. وبذلك أجعلها تساعدنى فى إقناع أبى ببيع المزرعة ..

وتوقف فجأة وقد أحس بشىء من عدم الرضا لتفكيره فى استغلال الفتاة على هذا النحو .

لكنه عاد ليقول لنفسه :

ـ وماذا أفعل ؟. إنها لم تدع خيارًا آخر .. وكنت أتمنى ألا أضطر للجوء إلى ذلك .

فهى بالفعل فتاة رقيقة وجميلة .. وتمتلك شخصية مؤثرة وتستحق الإعجاب .

وصمت برهة وهو يستعيد ما قاله لنفسه .. ثم ما لبث أن قال :

ـ يبدو أننى معجب بها بالفعل .. نعم ربما لا أستطيع أن أنكر ذلك .

وفى تلك اللحظة سمع صوتًا ينادى عليه ويخرجه من أفكاره .

فالتفت ليرى فتاة تقترب منه وهى تلوح له :

ابتسم وهو يصافحها قائلًا :

ـ أهلًا (نهلة) .

صافحته بحرارة قائلة بعتاب :

ـ أهلًا بالرجل الذى لا يفى بكلمته .. لماذا لم تأت لزيارتنا فى القاهرة كما وعدت ؟

ـ فى الحقيقة كنت منشغلًا للغاية خلال الأسابيع الماضية .

ـ منشغلًا إلى درجة أنك لا تستطيع الاتصال بالهاتف .. كنت أظن أننى أحظى بأهمية لديك أكثر من ذلك .

ابتسم (سامح) قائلًا :

ـ إن أهميتك كبيرة لدى بالفعل وأنت تعرفين ذلك .. ولكن بعض الأمور فى المزرعة هى التى شغلتنى عنك .. متى جئت من القاهرة ؟

ـ وصلت بالأمس فقط .

ـ إذن .. سنراك فى المزرعة قريبًا .

ـ بالطبع .. ما أخبار (نجوى) وعمى ؟

ـ بخير .. وما أخبار والدك الدكتور (حامد) ؟

ـ إنه يسأل عنك .. ألن تأتى لزيارتنا ؟

ـ بلى .. أعدك بذلك .

ـ متى ؟

ـ حينما تسنح الفرصة .

ـ إن الفرصة سانحة الآن .. لم لا تأتى معى لتسلم على أبى ؟

ـ ولكن ...

لكن دون أن تدع له الفرصة للاعتراض تأبطت ذراعه ، قائلة :

ـ هيا بنا .. إن المسافة بين مزرعتنا ومزرعتكم ليست كبيرة .. وسوف يسعد أبى برؤيتك .

ووجد (سامح) نفسه منصاعًا إليها .

وتجاذبت معه أطراف الحديث قائلة :

ـ لا أدرى يا (سامح) كيف تطيق الحياة هنا .. والبقاء لفترات طويلة فى تلك المزرعة .. إننى لا أكاد أقضى الشهر

الذى أمضيه مع أبى فى مزرعته إلا بالقوة .. وعلى سبيل التغير فقط .. فالحياة هنا رتيبة ومملة .

ـ إننى أبذل أقصى جهدى لإقناع أبى ببيع المزرعة والحياة فى القاهرة .

ـ سيكون هذا أفضل شىء تفعله .. وما أخبار المشروع التجارى الذى حدثتنى عنه من قبل ؟

ـ إنه مرتبط ببيع المزرعة .. بعدها سيمكننى تنفيذه .

ـ سيكون شيئًا رائعًا .. أن أراك بجانبى فى القاهرة طوال العام .

ابتسم (سامح) قائلًا :

ـ إننى لن أكون بجانبك بالطبع .. فسوف يستنفد ذلك المشروع كل طاقتى ووقتى .

قالت (نهلة) مداعبة :

ـ ولو .. مجرد إحساسى بأنك معى فى نفس المدينة .. ثم إننى سألاحقك بالزيارات والاتصالات الهاتفية .

ـ إذن .. فأنت تنوين إفساد مشروعى منذ البداية .

واستمرا معًا فى ضحك ومرح .. حتى وصلا إلى المزرعة التى يملكها والد (نهلة) .

★ ★ ★

١١ ـ قال للحب .. وداعًا ..

كانت معاملته لها ودية للغاية أثناء جلوسهم إلى مائدة الغداء ، وقد أخذ يقدم لها بعض أنواع الطعام بنفسه .. قائلًا :

ـ أعتقد أن هذا الصنف سيعجبك للغاية .. تذوقيه وعلى ضمانتى ..

قالت له (يسرا) وهى تشكره على هذه المعاملة اللطيفة :

ـ إنه شهى بالفعل .

وتناولت بدورها أحد أنواع الأطعمة ؛ لتقدمها له قائلة :

ـ أريدك أن تتذوق هذا .. فقد أعددته بنفسى .

تناول منها (سامح) الطعام قائلًا بدهشة :

ـ هل تقصدين أنك قد وقفت فى المطبخ .. وأعددته ؟

ـ نعم .. وما الذى يدهشك فى ذلك ؟

ـ كيف وجدت وقتًا للوقوف فى المطبخ وسط هذا الجهد الشاق الذى بذلته منذ الصباح فى حدائق الموالح ؟

ابتسمت قائلة :

ـ بشىء من التنظيم يمكن للمرء أن يفعل كل شىء .

وتذوق (سامح) الطعام وهو يبدى إعجابه قائلًا :

ـ يا له من طعام شهى !.. يبدو أن لديك العديد من المواهب .

وابدى الأب ارتياحًا لهذه العلاقة الطيبة .. وروح الود والوئام التى نشأت .. فى حين اندهشت (نجوى) من ذلك .. ووجدت نفسها تندفع قائلة :

ـ يبدو أن أخى قد استرد بصره من جديد .

نظر إليها (سامح) بغضب قائلًا :

ـ ماذا تعنين بذلك ؟.. هل كنت مصابًا بالعمى من قبل ؟

ـ نعم .. عمى مؤقت .. ولكن الحمد لله ، يبدو أنك قد شفيت الآن ، وأصبحت ترى من حولك بوضوح .

قال لها غاضبًا :

ـ ماذا تقصدين بذلك يا سليطة اللسان ؟

قال الأب :

ـ لا تعط أهمية لما تقوله .. أنت تعرف خزعبلات (نجوى) .

تساءل (سامح) :

ـ هل تعرفون من أتى إلى القرية اليوم ؟ إنه الدكتور (حامد) وابنته (نهلة) .

ـ الدكتور (حامد) ؟.. لقد مضى وقت طويل منذ أن غادر مزرعته المجاورة .

سألت (نجوى) :

ـ وما أخبار (نهلة) ؟

أجاب (سامح) :

ـ إنها بخير .. وترسل لك سلامها .

ـ ألن تأتى لزيارتنا ؟

ـ ربما غدًا أو بعد الغد .

ـ ولهذا تأخرت اليوم فى العودة إلى المزرعة .

ـ نعم .. لقد اصطحبتنى معها لزيارة مزرعتهم وتحية أبيها .

وتساءلت (يسرا) عمن تكون (نهلة) هذه .. وما مدى العلاقة التى تربطها بأسرة الحاج (عبد الفضيل) .. وبـ (سامح) على وجه الخصوص .

قالت لنفسها :

ـ يبدو أن بينهم صداقة قديمة .. كما يبدو أن لـ (نهلة) هذه مكانة خاصة لدى (سامح) .

وهزت كتفيها قائلة لنفسها :

ـ وما شأنى بذلك ؟

بينما تحدثت (نجوى) إليها قائلة :

ـ إن (نهلة) فتاة لطيفة للغاية يا (يسرا) .. ولابد أنها ستعجبك حين ترينها .

ـ لابد أنكما صديقتان منذ فترة طويلة .

ـ نعم .. لكنها تمل سريعًا من الإقامة فى القرية ، وأشد تعلقًا بالحياة فى القاهرة .

وعندما انتهيا من تناول طعامهما ، اصطحبتها (نجوى) معها ليسيرا فى الحديقة .. حيث سألتها (يسرا) قائلة :

ـ لابد أنه تربطك صداقة قوية بتلك الفتاة التى حدثتينى عنها .

مطت (نجوى) شفيتها قائلة :

ـ ليس بدرجة قوية .. لكن بيننا قدرًا من الصداقة برغم اختلاف طباعنا .. واختلاف النظر إلى الأمور من جانب كل منا .

إنها ليست مثلًا بدرجة قوة صداقتى لك .. برغم أننى أعرفك منذ أيام قليلة .. فى حين تمتد علاقتى بـ (نهلة) إلى سنوات طويلة .

ابتسمت (يسرا) قائلة :

ـ إننى سعيدة لأن أسمع منك ذلك .

ثم أردفت قائلة بفضول :

ـ وماذا عن صداقتها لـ (سامح) ؟

قالت لها (نجوى) بخبث :

ـ كلا .. إن الأمر هنا يختلف .. ويتعدى حدود الصداقة .. فهى تكن عاطفة قوية نحو (سامح) ، وتأمل فى اليوم الذى يتقدم فيه لخطبتها .

قالت (يسرا) باضطراب :

ـ خطبتها ؟!

ـ نعم .. إن (نهلة) فتاة جميلة .. بل جذابة للغاية وهناك عشرات الأشخاص يلاحقونها ويطلبون ودها .. ويأملون فى أن تكون زوجة لهم .. لكن فيما يبدو إنها لا ترغب إلا فى أن يكون (سامح) هو الزوج المنتظر .

فهى شديدة التعلق به .. وهذا أمر واضح لنا جميعًا .

ارتكزت (يسرا) على جذع الشجرة ، وقد وضعت يديها خلف خصرها ترقب النجوم المتلألئة فى السماء .

وكان (سامح) فى طريقه للبحث عنها ، عندما وجدها واقفة على هذا النحو .

وقف يتأملها بإعجاب حقيقى .. كانت تبدو فاتنة .. وقد أضفى عليها سكون المكان وهذا الليل الحالم مظهرًا ملائكيًا .

انتابه إحساس خفى نحوها ، جعله يفتتن بها وهو يتأملها على هذه الصورة .

إحساس حقيقى غير مصطنع .

وأخذ يحادث نفسه عن جمال بشرتها البيضاء الناعمة ، ووجهها الذى يشع جاذبية .. وهو يبدو قمرًا منيرًا وسط هذه النجوم المتلألئة .. وأحس بالحيرة بينه وبين نفسه .. فمنذ عهد بعيد لم ينتبه لمثل هذا الإحساس الشاعرى .. ولم تؤثر فيه فتاة على هذا النحو .

وهمس قائلًا لنفسه :

ـ هذا ما كنت أخشاه .. إن هذه الفتاة تفسد لى كل خططى وتربكنى تمامًا .

شىء ما .. كان يحذرنى من بقائها لدينا.. وينذرنى بالخطر منها . وها هى ذى قد تدخلت فى أمر بيع المزرعة بحماسها الجنونى نحو حدائق الموالح . وها هى ذى تؤثر على مشاعرى وتدفعنى إلى الافتتان بها .. بدلًا من أن يحدث العكس .

واستطرد قائلًا لنفسه متبرمًا :

ـ ما الذى جعلنى أغادر المزرعة فى ذلك اليوم الذى التقيتها فيه ؟

وهم بالعودة من حيث أتى .. لكنه ما كاد يخطو خطوتين مبتعدًا ، حتى استدار وعاد ؛ ليتأملها مرة أخرى .

لم يستطع أن يمنع نفسه من النظر إليها ولا مقاومة إحساسه بالانجذاب نحوها .. شىء ما يجذبه إليها ولا يقوى على دفعه .

وضرب بقبضته فى قوة على جذع إحدى الأشجار قائلًا لنفسه :

ـ ما الذى دهانى هذه الليلة ؟

وفى تلك اللحظة حانت التفافة من (يسرا) إلى الجهة التى يقف فيها (سامح) فلمحته واقفًا يتأملها .

واضطربت لرؤيته المفاجئة .. وهو واقف يتلصص عليها على هذا النحو .. بينما أصيب هوالآخر بارتباك مفاجئ حينما أدرك أنها قد رأته واقفًا يتأملها على هذا النحو .

ووجد نفسه يخطو نحوها وهو مازال مرتبكًا .. حيث وقف أمامها قائلًا :

ـ لقد بحثت عنك فى المنزل فلم أجدك .. وحينما لمحتك وأنت واقفة هنا لم أرد أن أقطع عليك تأملاتك .

ـ إن المكان هنا جميل ، ويثير التأملات بالفعل .

تلفت حوله قائلًا :

- وهذه الليلة التى يخيم عليها الهدوء والسكينة تضفى مزيدًا من الجمال على المكان .

ابتسمت قائلة :

- يسعدنى أن تكون لديك مثل هذه الأحاسيس نحو الأماكن ، والأشياء الجميلة التى تهبها لنا الطبيعة .

- فى الحقيقة أننى لم أشعر بها هكذا من قبل .. وأظن أنك قد أضفت رونقًا خاصًا على المكان ، جعلنى أراه فى صورة مختلفة عما كنت أراه عليها من قبل .

أحست (يسرا) بتأثر بالغ لكلماته .. وقالت له بصوت يكشف عن تأثرها :

- هل تعرف أنك أحيانًا تحيرنى ؟

- كيف ؟

- تارة أراك شخصًا قاسيًا يتعامل مع الأمور بعقلانية ومادية شديدة .. وبعيدًا تمامًا عن دائرة المشاعر والأحاسيس .. وتارة أخرى أراك مختلفًا تمامًا .

تنهد (سامح) وهو يضع يديه خلف خصره ؛ ليرتكز بهما على الشجرة المقابلة لها قائلًا :

- ربما لأننى أحاول الهرب من هذه المشاعر والأحاسيس ودربت نفسى لفترة طويلة على ذلك .

- لماذا ؟

- لأننى مررت بتجربة قاسية فى حياتى مع فتاة أحببتها حبًا كبيرًا . وكنت أظن أن المشاعر والأحاسيس القوية التى تربط بيننا لا يمكن فصمها أبدًا .. وأنها أقوى من أى شىء آخر عداها .

واكتشفت فجأة أننى كنت واهمًا .. بل وساذجًا للغاية فيما تصورته عن حبنا .

لقد ذهب مع الريح لدى أول إغراء مادى قوى .

ومن يومها تعلمت أن القيمة الحقيقية فى عصرنا الحالى هى القيمة المادية فقط .. والنجاح المادى وحده .. أما ماعداها فيأتى فى المرتبة التالية .

- ومن أجل هذا تلهث وراء مشروعك التجارى .. وتأمل أن يتحول فى المستقبل إلى عدة مشاريع .. سعيًا وراء المزيد من النجاح المادى والثراء السريع .. هل تعتقد أنك ستسعد بهذا لو تحقق ؟

- إننى أتعامل بلغة العصر .

- لا تظلم العصر .. فنحن الذين نفسده .. لأننا نضحى بقيم وأشياء جميلة فى حياتنا من أجل القيم المادية وحدها .. قيم قد تفسد علينا حياتنا . وتحرمنا من نعمة الرضا ، وتستعبدنا من أجل الوصول إليها والحفاظ عليها واللهاث وراءها .. وربما لم نجن من ورائها السعادة التى نأملها .. بل قد نجنى الشقاء .

ابتسم فى سخرية قائلًا :

- هذا حديث الفلاسفة .. ربما لم تمرى بعد بتجربة تعلمك أهمية القيم المادية فى حياتنا .. وأنها أساس النجاح الحقيقى لأى علاقة إنسانية .

تنهدت قائلة :

- ربما كنت مخطئًا فيما قلته بشأن عدم تعرضى لتجربة مماثلة لتجربتك .. فلا تتسرع فى إصدار أحكامك على الآخرين .

وما أدراك ربما كانت تجربتى أقسى وأشد مرارة ، مما تعرضت له .

- لو كانت تجربة مماثلة ، أو أشد قسوة كما تقولين .. فهذا يؤكد لك صدق نظريتى .. وكان الأحرى بك أن تؤيديها .

- كلا .. فأنا لم أفقد إيمانى بقيمة المشاعر والأحاسيس الإنسانية بعد .. ولن أدع تجربتى تتحكم فى حياتى ، وفى نظرتى للأمور كما فعلت بك .

سألها قائلًا :

- لكنك لم تحدثينى عن تجربتك هذه .

- عندما قابلتنى فى الطريق بسيارتك .. كنت عائدة لتوى من منزل رجل كان يفيض حبًا وحنانًا ، أو هكذا خيل لى .. رجلًا كان يقول : إن كل حلمه أن أكون زوجته وأن يجمعنا منزل واحد .. وأنه لا يتصور الحياة بدونى .. وأشياء كثيرة تعبر عن حب كبير .

وفجأة انتهى كل هذا دون سبب محدد .. ودون جرم من جانبى .

اختفت كل هذه المعانى الجميلة .. وتلاشت الوعود والأحلام عندما لوح له أبوه بحرمانه من المزايا المادية التى كان يمنحها له .. ومن الميراث ، لو لم يتزوج الإنسانة التى اختارها له .

ولم يحتج إلى وقت طويل للتفكير .. فلم يكن مستعدًا للتخلى عن الدعم المادى الذى يقدمه له الأب وعن تأمين

مستقبله .. وهكذا قال للحب وداعًا .

وتركت منزله بكبرياء محطم .. وجرح عميق .. ومهانة لم ألق مثلها فى حياتى .

تأملها وفى عينيه نظرة تعاطف قوية قائلًا :

ـ هل كان (صلاح) هو ...

انحدرت العبرات من عينيها وهى تقول له بصوت متهدج :

ـ نعم ..

قال لها بأسى :

ـ أنا آسف .. لم أكن أعرف ...

حاولت أن تنصرف بعد أن انسالت عبراتها دون أن تقوى على السيطرة عليها :

ـ لم أكن أظن أننى سأروى قصتى المهينة هذه لأحد .

لكنه أمسك بكتفيها ليمنعها ؛ من الانصراف وهو يواجهها قائلًا :

ـ ليس هناك ما يدعوك إلى الخجل منى .. فنحن شريكان فى هذا الحب التعس .

وبدون أن يدرى وجد نفسه يضمها إلى أحضانه ..

وبدون أن تدرى هى الأخرى وجدت نفسها تستكين بين ذراعيه مطلقة العنان لعبراتها .

بينما كانت يده تربت بحنان فوق شعرها المنسدل على كتفيها .





١٢ ـ اللمسة السحرية ..

تنبهت (يسرا) وقد وجدت نفسها بين ذراعيه .. فانتزعت جسدها من أحضانه قائلة :

ـ آسفة .. يبدو أن مشاعرى قد تغلبت علىّ .

ـ لا يوجد مايدعوك إلى الأسف .. أنا الذى يتعين عليه أن يأسف ؛ لأننى أثرت شجونك على هذا النحو .

ـ أعتقد أنه يتعين علينا أن نعود الآن إلى المنزل .

لكنه استبقاها ، وهو يمسح بأنامله آثار العبرات التى سالت على وجنتها قائلًا :

ـ لا أدرى كيف يمكن لأى شخص أن يفرط فى فتاة رائعة مثلك .

نظرت إليه قائلة :

ـ إذا كانت المصلحة تقتضى ذلك .. أليست هذه هى مبادئك الجديدة ؟

أزاح الخصلات التى تهدلت على جبينها ، وعيناه تتوهجان عاطفة قائلًا :

ـ أعتقد أنه يتعين علىّ أن أعيد التفكير فى هذه المبادئ .

قالت له (يسرا) وقد تأثرت بمعاملته الرقيقة :

ـ بل يتعين عليك أن تعود لنفسك .. أنا لم أكفر بقيمة المشاعر والعاطفة الحقيقية فى حياتنا .. وعليك ألا تكفر بها أيضًا .

★ ★ ★

شهد اليوم التالى تقاربًا أكبر بين (سامح) و (يسرا) .. فقد أخذ يلاحقها أينما ذهبت .

لم يستطع أن يمنع نفسه عن التفكير فيها طوال الليل .. وعندما أشرق النهار .. بدا أن حبها قد غزا قلبه .

تنبهت على صوته وهو يفاجنها أثناء عملها فى حديقة البرتقال قائلًا :

ـ هل تحتاجين مساعدة ؟

التفتت إليه باسمة وهى تقول :

ـ ألم يخطر لك أن تسأل هذا السؤال إلا الآن ؟ بالطبع أحتاج مساعدة .. ألست مهندسًا زراعيًا ؟

ابتسم قائلًا :

ـ هكذا تقول الشهادة التى حصلت عليها .

ـ إذن تعال ؛ لتفحص هذه الثمرات والأوراق معى .

قال لها مداعبًا .

ـ وهل ستعطينى أجرًا طيبًا ؟

قالت له بدلال :

ـ هذا يتوقف على الجهد الذى ستبذله فى عملك .

ـ أعدك بأن أبذل أقصى جهدى .

ومن بعيد وقفت (نجوى) ترقبهما وهى تشعر بسعادة بالغة .. حينما لمحت أباها وهو فى طريقه إلى حديقة البرتقال فاستوقفته قائلة :

ـ إلى أين أنت ذاهب يا حاج ؟

نظر إليها قائلًا :

ـ سأرى ما تم إنجازه من عمل .

ـ لا داعى لذهابك الآن .. أعتقد أن العمل يسير على خير وجه .

وأشارت إلى حيث يقف (سامح) و (يسرا) قائلة :

ـ انظر .. لقد انضم إلى العمل فى حديقة الموالح شخص جديد .

وارتسمت الدهشة على وجه الأب وهو يرى ابنه يشارك (يسرا) فى العمل قائلًا :

ـ (سامح) يعمل بنفسه فى الحديقة ! .. أى انقلاب هذا الذى يحدث هنا ؟

ضحكت (نجوى) قائلة :

ـ انقلاب تتزعمه المهندسة (يسرا) .

ضحك الأب بدوره قائلًا :

ـ يبدو أن هذه الفتاة تفعل الأعاجيب .

قالت (يسرا) لـ (سامح) :

ـ ألا تريد أن تحصل على بعض الراحة ؟

ـ إننى لا أشعر بتعب طالما أنا بجوارك .

قالت له بدلال :

ـ هل ستعود إلى مغازلتى مرة أخرى ؟

ـ نعم .. ويجب أن تعتادى على ذلك .. فكيف يمكننى أن أتوقف عن مغازلة فتاة جميلة مثلك .

ـ ولكن هذا يتجاوز حدود العمل يا باشمهندس .

ـ بل إن هذا يحفزنى على العمل يا باشمهندسة .

ـ يبدو أنك مصرّ على ذلك .

- إننى لا أقوى على مقاومة ذلك .

- إذن سأحملك بالمزيد من العمل هنا .

- لقد قلت لك ؛ إننى لا أشعر بالتعب طالما أنا بجوارك .

وحملته صندوقًا من الكارتون قائلة :

- إذن احمل هذا .. وابق واقفًا هنا .

ثم أمرت المزارعين بتحميل كميات كبيرة من البرتقال واليوسفى الذى كانت تفحصه ، والذى يزيد فى وزنه عن الثلاثين كيلو جرامًا فى الصندوق الذى يحمله (سامح) .. قائلة له ، وهى تشير إلى أحد الأجولة :

- انقل هذا إلى الجوال هنا .

نظر إليها مغتاظًا ، وهو يحمل الصندوق بعناء شديد .. متجهًا إلى الجوال حيث استوقفته قائلة :

- إنتظر .. أعتقد أنه يمكنك أن تحمل وزنًا إضافيًا .

ثم أشارت إلى المزارعين ، لكى يضعوا فى الصندوق المزيد من البرتقال .. وقد كاد أن يسقط تحت ثقل حمولته .

وفى المساء سألت (يسرا) عنه أخته وقد لاحظت غيابه قائلة :

- لماذا لا أرى (سامح) هذه الليلة ؟

قالت (نجوى) :

- إنه بغرفته .. مسكين إنه يتألم بشدة .

سألتها (يسرا) بانزعاج قائلة :

- يتألم .. لماذا ؟ مالذى أصابه ؟

- يبدو أنه قد أصيب بانزلاق غضروفى ، ويعانى من آلام مبرحة بظهره ..

انزعجت (يسرا) بشدة قائلة :

- لابد أن أراه .. إننى المسئولة عن ذلك .

سألتها (نجوى) بخبث قائلة :

- مسئولة عن ذلك .. كيف ؟

- لقد بدأ الأمر بمزاح حينما حملته ذلك الصندوق الثقيل .

- لا أفهم .. ماذا تقصدين بذلك ؟

- (نجوى) .. من فضلك هل تصحبيننى إلى غرفته ؟.. يجب أن أطمئن عليه .

وصحبتها (نجوى) إلى غرفته حيث وجدته ممددًا فوق فراشه .. وما إن رآها حتى أخذ يئن بشدة .. ويصرخ من الألم .

سألته (يسرا) قائلة :

ـ ماذا بك ؟

قال لها (سامح) متألمًا :

ـ ظهرى .. آلام لا تطاق فى ظهرى .. إننى عاجز حتى عن محاولة الجلوس ..

وضعت (يسرا) يدها على وجنتها وهى تجلس بجواره ، وملامح الندم والأسى فى عينيها قائلة :

ـ إننى آسفة .. أنا المسئولة عن ذلك .

أمسك (سامح) بيدها قائلًا :

ـ لماذا فعلت بى ذلك ؟ أى ذنب ارتكبته فى حقك لتسببى لى كل هذه الآلام ؟

وفى تلك اللحظة انسحبت (نجوى) من الحجرة دون أن يلحظها أحد .

بكت (يسرا) قائلة :

ـ أرجوك .. سامحنى .. ولكن لا بد من استدعاء طبيب فورًا .

قال لها متوسلًا :

ـ كلا .. أرجوك .. فقط ضعى يدك على جبهتى .

ووضعت يدها على جبهته برفق .. فهمس لها قائلًا :

ـ نعم .. هكذا .. والآن ضعى يدك الأخرى على صدرى .. جهة القلب .. وأطاعته وهى مندهشة من تصرفه .

ثم ما لبث أن سألها قائلًا :

ـ والآن أخبرينى عما تحسينه الآن .

قالت له بدهشة :

ـ عما أحسه .. وهل أنا التى أتألم ؟

ـ إننى لا أعنى الألم .. أننى أعنى ما تحسينه نحوى من مشاعر .

نظرت إليه بريبة وهى تبعد يديها قائلة :

ـ إنك لست مريضًا .. وهذه ليست سوى حيلة منك .

انتصب جالسًا فوق فراشه فى الحال وهو يضحك قائلًا :

ـ نعم .. لقد أردت فقط أن أثير مخاوفك .. وأنتقم مما فعلته بى هذا الصباح .. كما أننى حظيت بلمستين رائعتين من يديك الجميلتين .

انتفضت واقفة وهى تنظر إليه بغيظ قائلة :

ـ يالك من محتال .. مخادع !

ثم تناولت الوسائد وأخذت تقذفه بها ، وهو يرفعَ إليها يديه متوسلًا .. ووقف محاولًا الدفاع عن نفسه ، وقد أمسك بمعصميها ؛ ليمنعها من الاستمرار فى قذفه بالوسائد .

وتلاقت أعينهما فى نظرة طويلة معبرة .

كان لايزال ممسكًا بمعصميها ، وهو يحس بتيار كاسح من العاطفة يدفعه نحوها ، وبدت هى الأخرى ، وكأنها تندفع نحوه فى تيار مماثل .

وهمس مرددًا اسمها بصوت حنون :

- (يسرا) . !

لكنها خفضت بصرها وسارعت بجذب معصميها من يديه ومغادرة حجرته .. بينما ظل جامدًا فى مكانه وهو يحاول السيطرة على مشاعره .

إن قلبه يخفق بقوة خفقات لم يعرفها منذ زمن بعيد .

أما هى فقد أغلقت باب حجرتها خلفها ، واستندت عليه بظهرها ، وبدت وكأنها تخشى أن يسمع أحد خفقات قلبها .

وتساءلت فى حيرة .. أتكون قد أحبته ؟ أليس شعورها الذى تحسه الآن هو الحب بعينه ؟

★ ★ ★

وفى اليوم التالى فوجئت (يسرا) لدى عودتها من عملها فى حدائق الموالح بوجود فتاة تقف مع (سامح) وهما يتضاحكان عاليًا .

كانت الفتاة جميلة .. وكان من الواضح أنه يوجد تقارب شديد بينها وبين (سامح) ، فما أن رآها حتى هتف قائلًا :

- (يسرا) .. تعالى لأعرفك (نهلة) .

وقام بإجراء التعارف بين الاثنتين .. قبل أن تستأذن منهما (يسرا) لتنصرف ..

لاحظت (يسرا) طوال اليوم أن (سامح) يبدى اهتمامًا شديدًا برفيقته وتساءلت عن حقيقة مشاعره نحوها .

لقد كانت تشعر بغيرة حقيقية تجاه هذه الفتاة التى استحوذت على اهتمامه ، إلى الحد الذى جعله ينشغل عنها تمامًا .. وهو الذى كان يلاحقها خلال الأيام الماضية .

واعتذرت (يسرا) عن العشاء ؛ لتذهب إلى غرفتها .. حيث حاولت أن تشغل نفسها .. وتهدئ من نيران الغيرة التى اشتعلت بداخلها بتنظيم ثيابها داخل حقيبتها .

حينما سمعت طرقًا على الباب فدعت الطارق إلى الدخول .

ودهشت حينما رأته يدخل عليها حجرتها .. فهذه هى المرة الأولى التى يأتى فيها إلى هذه الحجرة .

سألها قائلًا وهو يحاصرها بعينيه :

ـ لماذا لم تتناولى عشاءك ؟

ـ لا أشعر برغبة فى تناول شىء .

ونظر إلى الثياب التى تضعها فى الحقيبة قائلًا :

ـ ماذا تفعلين ؟.

أجابته بجفاء قائلة :

ـ كما ترى .. أعد حقيبتى فسوف أرحل بعد غد .

ـ ولكنك لم تنتهى من مقاومة الآفات بعد .

ـ بل انتهيت ولم يعد باقيًا أمامى سوى الغد وأكون قد انتهيت من معالجة المحصول كله .

ـ وماذا عن النتائج ؟

ـ إن ذلك سيحتاج لشهرين على الأكثر .

ـ إذن تبقين لدينا حتى تظهر النتائج ، ونقرر أنك قد نجحت فى عملك .

ـ لقد نجحت فى عملى بالفعل .. ولا تنتظر منى أن أبقى شهرين هنا حتى تظهر النتائج .

ـ لماذا ؟

ـ لأننى لابد وأن أعود إلى عملى .

ـ إذن .. فلتستقيلى من عملك .

ـ هل تريدنى أن أستقيل من عملى ؛ لكى تطمئن على محصول الموالح ؟

ـ بل لتبقى بجوارى .. فأنا أعرف أنك تحبيننى .

نظرت إليه بتعال قائلة :

ـ يالك من مغرور !

ـ ليس هذا غرورًا .. ولكنه إقرار للواقع .. فقد رأيت نظرات الغيرة فى عينيك حينما كنت أجالس (نهلة) .

ـ هذا يؤكد غرورك .. فلم أكن أعطيك اهتمامًا .

ـ إنك تكذبين .. فقد تعمدت إثارة غيرتك .

ـ إذن فقد صورت لك أوهامك ذلك .. ولكن هل تعرف أنكما تبدوان لائقين لبعضكما .

ـ لم أكن واهمًا يا (يسرا) .. لقد أردت أن أتأكد فقط أنك تحبيننى كما أحبك .. ولم أعد أرى من تناسبنى فى هذا العالم سواك .

خفق قلبها بشدة من فرط إحساسها بالسعادة .. لكنها

حاولت إخفاء ذلك .. والتظاهر بالبرود وهى تقول له فى دلال :

ـ لكنى .. لا أحبك .

أمسك بذراعيها ؛ ليجعلها فى مواجهته وهو يقول لها :

ـ هل تستطيعين أن تنظرى فى عينى .. وأنت تقولين ذلك ؟

سارعت بخفض بصرها وقد توردت وجنتاها .

وضع أنامله تحت ذقنها وهو يرفع وجهها إليه بلطف قائلًا :

ـ (يسرا) .. هل تتزوجيننى ؟

أصابتها حالة من الارتباك وارتفع حاجبياها لأعلى وهى تقول له :

ـ من ؟ أنا ؟

ـ نعم .. وسأكون سعيدًا للغاية لو وافقت .

احتاجت لبرهة من الوقت ؛ لكى تستعيد سيطرتها على مشاعرها .. وأحست بأن هناك إحساسًا غامرًا من السعادة يجتاحها .. ويحول بينها وبين النطق .

وأخيرًا تحدثت قائلة :

ـ وماذا عن المزرعة ؟ أما زلت ترغب فى بيعها ؟

ـ من ذا الذى يتحدث عن البيع ؟ إن هذه المزرعة ستكون هى عش حبنا .. وسنعمل فيها معًا سويًا لننميها ونجعلها تزدهر . لقد علمتنى يا (يسرا) ألا أفرط فى الأشياء الجميلة أيًا كان الثمن .

ـ إذن .. فقد عدت لذاتك يا (سامح) .

ـ بفضل لمستك السحرية .. لمسة الحب التى حركت مشاعرى وأحاسيسى من جديد .

والآن .. ما هى إجابتك .. هل أنت موافقة على الزواج منى ؟

تطلعت إليه قائلة :

ـ وهل تحتاج منى إلى إجابة ؟

أحاط كتفها بساعده فى حنان ودفء قائلًا بسعادة بالغة :

ـ إذن .. دعينا نزف إليهم الخبر .

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

زهور

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

المؤلف

أ. شريف شوق

السلسلة الوحيدة التى لايجد الأب أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

لمسة حب

هناك أحاسيس ومشاعر
نظن أنها قد ماتت بداخلنا ..
ولم يعد هناك سبيل لعودتها
إلى الحياة .. لكنها لكى تعود
من جديد تحتاج فقط إلى ..
لمسة حب ..

63

الثمن فى مصر ١٥٠ قـ
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم